جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الشرق والغرب وأزمة الحضارة الغربية

دراسة في المنظور المعرفي عند علي عزت بيجوفتش

إعداد

ثائر عمر محمد عابد

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يونيو 2024م/1445هـ

2024©. ثائر عمر محمد عابد. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ثائر عمر محمد عابد بتاريخ 16-5-2024 وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه. وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

د. عزيز البطيوي
المشرف على الرسالة

_____

د. عبدالحميد الشيش
مناقش

_____

د. محمد خير العمري
مناقش

_____

أ.د نوزاد الهيتي
مناقش

_____

تمّت الموافقة:

_____

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

ثائر عمر محمد عابد، ماجستير في الأديان وحوار الحضارات
يونيو 2024.

العنوان: الشرق والغرب وأزمة الحضارة الغربية دراسة في المنظور المعرفي عند علي عزت بيجوفتش
المشرف على الرسالة: عزيز البطيوي
تهدف الدِّراسة إلى التَّعرف على المنظور المعرفي لدى علي عزت بيجوفتش وتشخيصه لإشكالية علاقة الغرب مع الشرق وتحديد أساس أزمة الحضارة الغربية والحلول الواقعية لحل هذه الأزمة.
توصَّلت الدِّراسة لعدَّة نتائج من أهمِّها: تميز بيجوفيتش بكثرة مصادره التي تنوّعت بين المصادر الإسلامية، والفلسفات الأوربية، والأديان السماوية؛ اليهودية والنصرانية، بالإضافة إلى الفنون المسرحية والروايات، وأن أزمة الحضارة الغربية هي بالمستوى الأول أخلاقية؛ وسبب ذلك التعامل مع الحضارة المادية وليس مع الثقافة الإنسانية. والحل الأمثل والأنجع عند بيجوفيتش هو الرجوع إلى تعاليم الإسلام الحنيف، وتطبيقها بحذافيرها، وهو ما تناوله في كتابه الإعلان الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الشرق – الغرب – الحضارة – الثقافة–المنظور المعرفي

ABSTRACT

East and West and the Crisis of Western Civilization: A Study of the Cognitive Perspective of Alija Izetbegović

The study aims to identify the cognitive perspective of Alija Izetbegović and diagnose the problem of the West's relationship with the East, and to identify the basis of the crisis of Western civilization and realistic solutions to solve this crisis.

The study reached several conclusions, including: Izetbegović's distinction in his multitude of sources, which varied between Islamic sources, European philosophies, and divine religions such as Judaism and Christianity, in addition to theatrical arts and novels. The crisis of Western civilization is primarily ethical, due to the focus on material civilization rather than human culture. Izetbegović's optimal and most effective solution is to return to the teachings of Islam and apply them thoroughly, as he discussed in his book "The Islamic Declaration."

Keywords: East – West – Civilization – Culture – Cognitive Perspective

شكر وتقدير

الشُّكر والثناء لله – عزَّ وجلَّ – أوَّلًا على نعمة الصَّبر والقدرة على إنجاز العمل، فلله الحمد على هذه النِّعم.

وأتقدَّم بالشُّكر والتَّقدير إلى أستاذي الفاضل/ الدُّكتور عزيز البطيوي، الَّذي تفضَّل بإشرافه على هذا البحث، والَّذي لم يألُ جهدًا في تقديم الدَّعم والتَّوجيه والإرشاد لإتمام هذا العمل على ما هو عليه، فله منِّي أسمى عبارات الثَّناء والتَّقدير.

وأتقدَّم بالشُّكر والتَّقدير إلى الأخ الكريم الدُّكتور/ حسن داري على ما قدمه لي من إفادة علمية خلال إعدادي للرسالة، والشُّكر موصول لأساتذتي الفضلاء الَّذين شرُفتُ بتدريسهم لي في مقررات برنامج الأديان وحوار الحضارات.

الباحث:

ثائر عمر محمد عابد

الإهداء

إلى والداي العزيزين الذين ما توانوا لحظة من دعائهما لي وسؤالهما عني

وإلى زوجتي الغالية التي كانت عوناً لي في مراجعة البحث وصبرها وتحملها

وإلى وأولادي على صبرهم وتحملهم

وإلى أعضاء القسم في المدرسة كلٌ باسمه ولقبه على وقوفهم معي في السراء والضراء

وإلى الأستاذ طارق أحمد مدير مدرستي على تذليل كافة التحديات حتى ينتهي هذا العمل

وإلى ملهمي علي عزت بجوفتش

أهدي هذا العمل

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... هـ

الإهداء ..... و

المقدمة 1

إشكاليّة البحث وأسئلته: 2

أهمية البحث وأهدافه ودواعي الكتابة فيه: 3

الدراسات السابقة والإضافة العلمية: 4

خامسا: هيكل البحث: 6

الفصل الأول: مفاهيم المنظور المعرفي لإشكالية الشرق والغرب 8

الفصل الأول: مفاهيم المنظور المعرفي لإشكالية الشرق والغرب: 9

المبحث الأول: تعريف مفاهيم الدراسة: الحضارة، الشرق، الغرب، المنظور المعرفي: 10

المبحث الثاني: الشرق والغرب والحضارة في الفكر المعاصر: 17

المبحث الثالث: الشرق والغرب والحضارة عند بيجوفيتش 25

الفصل الثاني: المنظور المعرفي (المصادر– الخصائص – الأسس)..... 32

الفصل الثاني: المنظور المعرفي عند بيجوفيتش (المصادر – الخصائص – الأسس): 33

المبحث الأول: مصادر المنظور المعرفي لدى بيجوفيتش 33

المبحث الثاني: خصائص المنظور المعرفي لدى بيجوفيتش 51

المبحث الثالث: أسس المنظور المعرفي عند بيجوفيتش: 70

الفصل الثالث : الشرق وأزمة الحضارة الغربية عند بيجوفيتش..... 74

الفصل الثالث: الشرق وأزمة الحضارة الغربية عند بيجوفيتش.....75

المبحث الأول: أزمة الحضارة المعاصرة:.....75

المبحث الثاني: نظرة الغرب إلى الشرق من منظور علي عزت بيجوفيتش: 86

المبحث الثالث: حل أزمة الحضارة الغربية عند علي عزت بيجوفيتش: 90

الخاتمة..... 98

نتائج البحث 98

التوصيات 99

قائمة المصادر والمراجع 100

المراجع باللغة العربية:.....100

المراجع باللغات الأجنبية: 104

المقدمة

يمثل الشرق والغرب إشكالية تاريخية مفاهيمية معقدة بين الطرفين من حيث نظرة كل منهما إلى الآخر. وهناك الكثير من الكتاب الشرقيين والغربيين الذين تناولوا هذه الإشكالية وحللوا مفاهيمها وأبعادها وآثارها ، ومن هؤلاء مفكر ظهر في مساحة يتنازعها الغرب جغرافيًّا، ويؤثر فيها الشرق ثقافيًّا ودينيًّا، ألا وهو الرئيس المفكر علي عزت بيجوفيتش، الذي استحق بجدارة أن يلقب بالرئيس الأول الذي طالب باستقلال البوسنة والهرسك. ولم يكن علي عزت رئيسا يعنى بشؤون الدولة فحسب، بل كان سياسيا ومفكرا مهمومًا بقضايا شعبه وأمته، ويمكن وصفه بالفيلسوف المسلم، وقد قضى علي عزت شطرا من حياته مسكونا بالحالة الإسلامية الراهنة، فانشغل بمواضيع الفلسفة الإسلامية وما يتعلق بالإنسان والتعامل مع الآخر، حتى صاغ نظريات ومفاهيم عميقة، لكنه أيضا – بمزجه بين السياسة والفكر والتطبيقات العملية التي مارسها – قد مثَّل الإسلام خير تمثيل من خلال تعامله مع الآخر ونظرته لمشكلات الحضارة.

ويعدُّ كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" أفضل كتبه وأعلاها قيمةً، عرض من خلاله التفرقة بين الأيديولوجيات والنظريات الدينية والفلسفية: الأيديولوجيات المادية من مثل نظرية داروين وأفكار نيتشه، والأيديولوجية الروحية المتمثلة في الدين المسيحي، والنظرية الإسلامية التي تجمع بين الروح والمادة، وأفاض في شرح فلسفته ليبين خطر الأيديولوجيات المادية والروحية وفسادها وفشلها في تنظيم شؤون الحياة، ومدى عمق النظرة الإسلامية للحياة وشؤونها.

ومن هنا يسعى هذا البحث لبيان المفاهيم التي صاغها علي عزت بين الشرق والغرب والتي من الممكن وصفها بالثورة الفكرية التي لم يكتمل نموها، إضافة إلى البحث في التصورات الحضارية في فكره من حيث النظرة إلى الشرق والغرب، والنظرة إلى الآخر، ورأيه في الحضارة ومعوقات نهضتها، والتطبيقات العملية من خلال فترة مكوثه في السجن والمطالبة بالحرية والصمود

في وجه الإغراءات والإغواءات، ودوره في التفاهم مع الآخر في اتفاقية دايتون ، وبنائه للمستقبل المتحضر في البوسنة والهرسك، "والتعايش"! الذي كان بعد ذلك مع الصرب والكروات وغيرهم.

إشكاليّة البحث وأسئلته:

يسعى هذا البحث للإجابة عن سؤال مركزي: ما المنظور المعرفي لدى علي عزت بيجوفيتش؟ وما نظرته لعلاقة الشرق والغرب في ضوء فهمه لأزمة الحضارة الغربية؟ وقد نتج عن هذا السؤال المركزي أسئلة فرعية على النحو الآتي:

1. ما هي المصادر التي اعتمد عليها بيجوفيتش في منظوره المعرفي ؟
2. ما المعنى المقصود من مفردتي الشرق والغرب في الرؤية الغربية؟
3. كيف عرض بيجوفيتش لمفاهيم مثل الحضارة والثقافة في الرؤيتين الإسلامية والغربية؟
4. ما هي وجهة نظر بيجوفتش لاشكالية الشرق والغرب ؟
5. ما دور بيجوفيتش في الفكر الحضاري الإسلامي؟
6. ما حقيقة المنظور المعرفي عند بيجوفيتش للحضارة الشرقية والغربية؟
7. كيف شخص بيجوفيتش أزمة الحضارة الغربية؟
8. ما الأسس الفكرية والحضارية الحاكمة للعلاقة مع الآخر من وجهة نظر بيجوفيتش؟

أهمية البحث وأهدافه ودواعي الكتابة فيه:

تظهر أهمية البحث من خلال:

- معرفة العلاقة بين الشرق والغرب وما تفرع عن هذه العلاقة من قضايا وإشكالات، وبيان فكر علي عزت بيجوفيتش الذي يتجلى من خلال تجربته الفريدة، بوصفه أول مسلم حكم البوسنة والهرسك، وسعى إلى إنهاء الخلافات والصراعات في محيطه الجغرافي، وصولا إلى تعايش حضاري فعال؛ إذ يعدّ فهم بيجوفيتش وإدراكه للواقع من أهم العوامل التي رشحته لأن يكون صاحب فكر حضاري عالمي.
- فرادة مؤلفات علي عزت بيجوفيتش وتميزها، فهي تقارن مكانة الإسلام بين الشرق والغرب، وتصف عوائق النهضة الإسلامية وتضعها في نصابها.
- بيان دلالات المفاهيم الحضارية بين الشرق والغرب من جهة، وأزمة الحضارة الغربية تجاه الشرق من جهة أخرى.
- الكشف عن النموذج المعرفي عند علي عزت بيجوفيتش.

وبناءً على ما سبق يسعى البحث لتحليل المنظور المعرفي لهذا الرجل، للكشف عن رؤيته الحضارية في التعامل مع الآخر، واستعراض مفاهيم الحضارة لديه، بوصفه منتسبا إلى المحيط الحضاري الأوروبي.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية:

بعد اطلاع الباحث على عدد من المراجع والبحوث حول الشرق والغرب وأزمة الحضارة الغربية من خلال المنظور المعرفي لدى علي عزت بيجوفيتش، لم يجد من عالج إشكالية هذا البحث بصورة دقيقة ومباشرة . لكن ثمة دراساتٍ سابقة وقف عليها الباحث اهمها:

1. رسالة ماجستير بعنوان: "الرؤية الكونية التوحيدية عند علي عزت بيجوفيتش" 2015 الصادرة عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، للباحثة حدة ميهوب وقد تناولت هذه الرسالة موضوع الرؤية الكونية التوحيدية عند علي عزت بيجوفيتش، كما تحدثت عن حياة المفكر وإنجازاته الفكرية، وقد عرضت بعد ذلك موضوع الإنسان والكون والحياة، وهي زاوية مختلفة عما يتناوله هذا البحث الذي يركز على المنظور المعرفي لمفاهيم الشرق والغرب ورؤية علي عزت بيجوفيتش لأزمة الحضارة الغربية مستخلصا الإجابة عن سؤال أزمة الحضارة الغربية وفق منظور علي عزت بيجوفيتش.

2. رسالة دكتوراة بعنوان: "علي عزت بيجوفيتش وجهوده الفكرية والإصلاحية – دراسة تحليلية" جامعة العلوم الإسلامية الأردن 2018 للباحث ألن ثاقب صادق غولاتش، تحدثت هذه الرسالة عن الأسباب التي جعلت من علي عزت بيجوفيتش مجددا شموليا إسلاميا، وحول أسباب التراجع في الأمة الإسلامية داخليا وخارجيا، ومن ثم تجديده لعلوم العقيدة والفلسفة والكلام، وهذا الموضوع يتحدث عن شخصية بيجوفيتش وجهوده الفكرية والإصلاحية، لكنه لم يتطرق الى بيان النموذج المعرفي لدى بيجوفتش حول علاقة الشرق والغرب .

3. نبت الأرض وابن السماء: الحرية والفن عند علي عزت بيجوفيتش لمحمد الأحمري، مطبعة العبيكان 2010م. تحدث المؤلف عن جانب واحد من جوانب التصور الحضاري عند علي عزت بيجوفيتش، وأثر ذلك على نظرته للآخر والبحث حول أرضيات مشتركة في التعامل

مع الآخر ومنها الحرية والفن. وهذا البحث يضيف المفاهيم الأخرى التي عمل عليها علي عزت بيجوفيتش من خلال التصورات الفكرية والعملية.

4. Islamic Culture and Western Civilization: The Prospects of Coexistence in the Thought of Alija Izetbegović – Dr. Muhammad Akram (الثقافة الإسلامية والحضارة الغربية: آفاق التعايش في فكر علي عزت بيجوفتش) للدكتور محمد أكرم، ركزت الرسالة على تحليل ما يتعلق بالتعايش بين الثقافة الإسلامية والحضارة الغربية، بالإضافة إلى محاولة فهم آراء بيجوفتش حول كيفية تحقيق التعايش السلمي والبناء بين العالمين الإسلامي والغربي، وكيف يمكن تحقيق التوازن بين القيم والمبادئ الإسلامية والغربية في مجتمعات متعددة الثقافات، وكيف يمكن تحقيق التواصل الحضاري والتعايش السلمي بين الثقافات المختلفة، وقد جاءت هذه الدراسة لبحث ازمة الحضارة الغربية عند بيجوفتش وكيفية حل هذه الأزمة.

خامسا: هيكل البحث:

يقوم هذا البحث على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

التمهيد: الحديث حول علي عزت بيجوفيتش من حيث حياته وإنجازاته وآراء الكتاب الشرقيين والغربيين في كتاباته.

الفصل الأوّل: مفاهيم المنظور المعرفي لإشكالية الشرق والغرب

- المبحث الأوّل: تعريف مفاهيم الدراسة: الحضارة، الشرق، الغرب، المنظور المعرفي.
- المبحث الثاني: الشرق والغرب والحضارة في الفكر المعاصر.
- المبحث الثالث: الشرق والغرب والحضارة عند بيجوفيتش.

الفصل الثاني: المنظور المعرفي (المصادر– الخصائص – الأسس).

- المبحث الأول: مصادر المنظور المعرفي عند بيجوفيتش.
- المبحث الثاني: خصائص المنظور المعرفي عند بيجوفيتش.
- المبحث الثالث: أسس المنظور المعرفي عند بيجوفيتش.

الفصل الثالث: الشرق وأزمة الحضارة الغربية عند بيجوفيتش.

- المبحث الأول: أزمة الحضارة المعاصرة.
- المبحث الثاني: منظور علي عزت بيجوفتش لإشكالية الشرق والغرب.
- المبحث الثالث: حل أزمة الحضارة الغربية عند علي عزت بيجوفيتش.

وقد حظي هذا البحث بإشراف أستاذي فضيلة الدكتور عزيز البطيوي، ونال شرف رعايته وتوجيهه، فجزاه الله خير الجزاء. هذا ولا أدعي في هذا البحث الإحاطة والإجادة، وإنما هو جهد المقل،

عسى الله سبحانه أن ينفع الأمة به، وأن يرزقني فيه التوفيق والتأييد، والهداية والتسديد، وأن يهيء له سبحانه من أساتذتي الأفاضل من يقوم اعوجاجه ويصحح خطأه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول: مفاهيم المنظور المعرفي لإشكالية الشرق والغرب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: تعريف مفاهيم الدراسة: الحضارة، الشرق، الغرب، المنظور المعرفي.

المبحث الثاني: الشرق والغرب والحضارة في الفكر المعاصر.

المبحث الثالث: الشرق والغرب والحضارة عند بيجوفيتش.

الفصل الأول: مفاهيم المنظور المعرفي لإشكالية الشرق والغرب:

يسعى هذا الفصل إلى بيان مفاهيم: الشرق والغرب والحضارة والمنظور المعرفي باعتبارها مدخلًا معرفيًّا للدراسة وقد قسّمتُ هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هي:

– تعريف مفاهيم الدراسة: الحضارة والشرق والغرب والمنظور المعرفي من خلال معاجم اللغة والاصطلاح، والهدف من ذلك إرجاع هذه المفاهيم إلى أصولها وبيانُ معانيها لغةً واصطلاحًا.

– الحضارة والشرق والغرب في الفكر المعاصر بهدف ربط هذه المفاهيم بالواقع كونَ الدراسة تتحدث عن أزمة الحضارة الغربية فلا بد من الوقوف عليها، ومن خلالها يتضح منظور كلٍّ من الشرق والغرب لمفهوم الحضارة.

– الحضارة والشرق والغرب عند بيجوفيتش؛ إذ إنّ مجمل الدراسة سيكون حول نظرة بيجوفيتش ومنظوره المعرفي، فلا بد من توضيحها وبيان رأيه في كلٍّ منها.

المبحث الأول: تعريف مفاهيم الدراسة: الحضارة، الشرق، الغرب، المنظور المعرفي:

المفاهيم التي يدرسها هذا المبحث هي أساس لا بد من توضيحه، والرجوع به إلى الأصل في معاجم اللغة وكتب الاصطلاح .

أولاً: الحضارة لغة:

الإقامة في الحضَر، عن أبي زيد. وكان الأصمعيُّ يقول: الحَضارة بالفتح. قال القطاميُّ:

ومن تكن الحَضارَةُ أعجبته فأيَّ رجالِ باديةٍ تَرانا

(والحُضورُ: نقيض الغَيبة. وقد حَضَرَ الرجل حُضورًا، وأَحْضَرَهُ غيره. وحكى الفرّاء حَضِرَ بالكسر: لغة فيه) (1) (الحضر خلاف البدو والحضارة بفتح الحاء، والحضارة بكسرها : السكن بالحضر كالبداوة ، ثم جعل ذلك اسمًا لشهادة مكان أو إنسان أو غيره) (2) قَالَ تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ (3) قَالَ تَعَالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى﴾ (4)، وقَالَ تَعَالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَ﴾ (5) قال ابن منظور: ("الحَضَرُ: خلافُ البَدْوِ. والحاضِرُ: خِلَافُ الْبَادِي. وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « ... وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ... وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ[6] ؛ الْحَاضِرُ:

---

[1] الرازي، محمد بن ابي بكر (ت،323هـ 925م) **مختار الصحاح**، (مكتبة لبنان، 1986م) ص 60

[2] الأصفهاني، الراغب ، **المفردات في غريب القرآن** ، (دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – 1412 ص .(241)

[3] سورة البقرة الآية 180

[4] سورة النساء الآية 8

[5] سورة النساء الآية 128

[6] أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي **صحيح البخاري** تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم

الْمُقِيمُ فِي المُدُنِ والقُرَى، وَالْبَادِي: الْمُقِيمُ بِالْبَادِيَةِ، وَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ أَن يأْتي البَدَوِيُّ الْبَلْدَةَ وَمَعَهُ قُوتٌ يَبْغِي التَّسارُعَ إلى بَيْعِهِ رَخِيصًا)(7).

الحُضورُ الحضارة مشتقة من حَضَر ويقال حَضَرَ: وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أَي يحضُرها الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ. (وحَضِرَ بمعنى أتى والحضارة هي الإقامة في الحضر وهي ضد البداوة) (8).

من الفعل الثلاثي، حضر، فالحاضر هو المقيم في المُدُنِ والقُرَى، والبادي هو المقيم بالبادية والحَضَرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ خلاف البادية وهي المُدُنُ والقُرَى والرِّيفُ سميت بذلك لأن أهلها حَضَرُوا الأَمصارَ ومَساكِنَ الديار التي يكون لهم بها قرارٌ (9).

الحضر مُحرَّكة، والحضرة بفتح فسكون، والحضارة بالكسر عن أبى زيد وبالفتح عن الأصمعي، خلاف البادية والبداوة والبدو... والحضارة بالكسر الإقامة في الحضر، قاله أبو زيد، وكان الأصمعي يقول: "الحضارة بالفتح، هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، والبادية يمكن أن يكون اشتقاقها من بدا يبدو، أي برز وظهر، ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون سواه" (10).

الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة كتاب البيوع، باب النَّهْيِ لِلْبَائِعِ أَنْ لَا يُحَفِّلَ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ رقم: 2150. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب النكاح، باب تَحْرِيمِ الْخِطْبَةِ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَأْذَنَ أَوْ يَتْرُكَ، رقم:1413

[7] ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ ،1311م) **لسان العرب** (دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – 1414هـ) (4/ 197)

[8] ينظر مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط (مكتبة الشروق الدولية ط4) ص 178

[9] ينظر ابن منظور، لسان العرب، ط1، ج4، ص196

[10] ينظر الزبيدي، محب الخطيب أبى الفيض السيد محمد(ت602هـ،1205م) ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ،دار الفكر، (6 / 268)

ومن خلال ما سبق يمكن القولُ إنّ الحضارةَ في اللغة هي الإقامة في الحضَر، والحاضر من يقيم في المدن والقرى وهي عكس البداوة فيُعدُّ من يقيم في المدينة متحضرًا ومن يعيش في البادية بدويًّا.

ثانياً: الحضارة اصطلاحًا:

يُظهِر تتبّع مفهوم الحضارة أنّه يُعَدّ مفهومًا مركبًا ومعقدًا ؛ إذ يختلف معناه وفقَ السّياق الذي يُوضَعُ فيه، ومن خلال التعريفات الآتية سيتضح أن هناك من عرّف الحضارة ووضعها إما في السّياق الجغرافي أو المعنوي أو المرجعيّ.

يكاد يكون ابن خلدون أول من نبه إلى مصطلح الحضارة واستخدمه في مقدمته، إلا أن اصطلاحه الذي كان يستغني به معظم الأحيان عن هذه الكلمة هو (العمران البشري) الذي يقابل (الحضارة البشرية) يقول ابن خلدون: (الحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ والملابس والمباني والفرش، وسائر عوائده وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه)(11) يتضح أن ابن خلدون عرف الحضارة ووضعها في سياق العمران والتفنن به، وهو مفهوم يحتاج إلى إضافة الروح والأخلاق لتكون الحضارة مكتملة وصحيحة.

وقد عرّفها توفيق محمد سبع بقوله: (الحضارة تعني الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية)(12)

ويمكن القول أن دلالة الحضارة توسَّع معناها، فعند المؤرخين والباحثين الاجتماعيين دلت على جميع أنواع التقدم والرقي الإنسانيين؛ لأنهما لا يزدهران إلا عند المستقرين في مواطن

---

[11] ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد(ت808هـ،1406م) **المقدمة**، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4) ص172

[12] سبع، توفيق محمد ، **قيم حضارية في القرآن الكريم** (دار المنار،القاهرة1972) ، ج1ص31

العمران (13). وهذا التعريف يربط الحضارة بالرقي والتقدم والعمران وهو معنى يحتاج إلى معانٍ إضافية؛ فإنّ الحضارة كما تحتاج إلى إقامة تحتاج أيضًا إلى أخلاق وثقافة وروح.

أمّا البداوة فهي أصل الحضارة. يقول د. صائب عبد الحميد في كتابه "فلسفة التاريخ (أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه، والتمدن غاية البدوي، يجري إليه، وبخلاف ذلك الحضري فهو لا يتشوق إلى أحوال البادية إلا لضرورة أو لتقصير عن أحوال أهل المدينة) (14).

وهناك تعريفات أخرى كثيرة للحضارة، ولكن أغلب هذه التعريفات يدور في فلك التعريفات السّابقة ولا يخرج عنها، وبالنظر إلى ما سبق ذكره وبناء عليه يمكن تعريف الحضارة بأنّها: مجموعة الفنون والمعارف والأخلاق والثقافة والروح التي تبرز مجتمعًا ما وتنظم أفكاره ومبادءه.

رابعاً: التعريف اللغوي للشرق والغرب:

- **الشرق :** يشير معظم من عرف الشرق والغرب لغة: إلى الجهة، ومكان طلوع الشمس وغروبها، فغلب على هذه التعريفات المعنى الجغرافي.

يقول ابن منظور "والشَّرْق: المَشْرِق، وَالْجَمْعُ أَشراق والتَّشْرِيقُ: الأَخذ فِي نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ. يُقَالُ: شَتّانَ بَيْن مُشَرّقٍ ومُغرّبٍ.

شَرَّقوا: ذَهَبُوا إلى الشَّرْق أَو أَتَوُا الشَّرْقَ. وَكُلُّ مَا طلَع مِنَ الْمَشْرِقِ فَقَدْ شَرَّق، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ (15)، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: إِذَا أَتَيْتُمُ

---

[13] ينظر حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن(ت1425هـ،2004م) **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم**، (دار القلم – دمشق ط الأولى) ص33

[14] عبدالحميد، صائب **فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي** (دار الهادي ط1 ،2007) ص 257

[15] ينظر لسان العرب (10/ 174)

الغَائِطَ فلا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، ولَا تَسْتَدْبِرُوهَا ولَكِنْ شَرِّقُوا أوْ غَرِّبُوا قالَ أبو أيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ بُنِيَتْ قِبَلَ القِبْلَةِ فَنَنْحَرِفُ، ونَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالى" (16).

الشَرْقُ: المَشْرِقُ. والشَرْقُ: الشمسُ. يقال طلع الشَرْقُ، ولا آتيك ما ذَرَّ شارِقٌ. والمَشْرِقانِ: مَشْرِقا الصَيف والشتاء. والمَشْرَقَةُ موضع القُعود في الشمس، وفيه أربع لغات: مشرقة ومشرقة بضم الراء وفتحها، وشرقة بفتح الشين وتسكين الراء (17).

المشرق جهة شروق الشمس والبلاد الإسلامية في شرقي الجزيرة العربية (18) والغرب غروب الشمس والبلاد الواقعة فيه وهي ما تقابل بلاد الشرق.

شرق: (شرقت الشمس شروقا طلعت وقيل لا أفعل ذلك ما ذر شارق، وأشرقت: أضاءت) قال تعالى ﴿بالعشي والإشراق﴾ (19) أي وقت الإشراق، والمشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد فإشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب وإذا قيلا بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلعي ومغربي الشتاء والصيف، وإذا قيلا بلفظ الجمع فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه أو بمطلع كل فصل ومغربه، قال تعالى ﴿رب المشرق والمغرب﴾ (20) – ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ (21) – ﴿برب المشارق والمغارب﴾ (22)

– **الغرب هو:** خلاف الشرق، الغرب: بثرة تكون فِي الْعين تغذي وَلَا ترقأ، وَغرب كل شَيْء: حَدّه وَكَذَلِكَ غراب كل شَيْء، وَغرب الدمع: مسيله. وَأَتَاهُ سهم غرب وَغرب إِذا جَاءَهُ من حَيْثُ لَا

---

[16] النيسابوري،ابي الحافظ ابي الحسن مسلم(ت261هـ،874م) **صحيح مسلم** (بيت الافكار الدولية) (كتاب الطهارة باب النهي عن الاستنجاء)(حديث رقم 264) ص130

[17] ينظر الجوهري، اسماعيل **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** (دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ – 1987م) (4/ 1500)

[18] ينظر مجمع اللغة العربية **المعجم الوسيط** (مكتبة الشروق الدولية ط4) ص 499

[19] سورة ص الآية 18

[20] سورة المزمل الآية 9

[21] سورة الرحمن الآية 17

[22] سورة المعارج الآية 40

يدْرِي بِهِ، وغربت الشَّمْس غروبا. والمشرق وَالْمغْرب: معروفان. والمشرقان والمغربان: مشرقا الصَّيف والشتاء ومغرباهما، والمشارق والمغارب: مَشَارِق الشَّمْس وَمَغَارِبهَا لِأَنَّهَا كل يَوْم تشرق من مَوضِع وتغرب فِي مَوضِع انْقِضَاء السّنة (23). ويقصد بالغرب في المعجم الوسيط (غروب الشمس والبلاد الواقعة فيه وهي ما تقابل بلاد الشرق) (24).

إذن فتعريف الشرق والغرب أو تقسيم العالم إلى شرقي وغربي يحتاج إلى توضيح وتبيينٍ عند أهل الاصطلاح ليتبين المعنى المراد، وهو ما سيوضّحه المبحث التّالي، ولكن يمكن إيجاز ما سبق بأن الشرق من حيث اللغة هو موضع طلوع الشمس والغرب هو موضع غروب الشمس.

خامساً: تعريف المنظور المعرفي:

المَنْظُورٌ في اللغة: يقال سيدٌ منظور: يرجى فضله، وشيءٌ منظور: ترمقه الأبصار

(والنظرُ :البصرُ والبصيرة ويقال: في هذا نظرٌ: مجال للتفكير لعدم وضوحه، ونظراً إلى كذا، وبالنظر إليه : ملاحظة واعتبار له)(25)

المعرفة لغة: (عَرَفَ) مِثْلُ كَتَبَ. وَ (التَّعْرِيفُ) (الْإِعْلَامُ. وَالتَّعْرِيفُ أَيْضًا إِنْشَادُ الضَّالَّةِ. وَالتَّعْرِيفُ أَيْضًا)(26)

أما في الإصطلاح: فيدل مفهوم المنظور المعرفي في سياق هذه الدراسة على ما اصطلح عليه في الدراسات، ولئن كان هذا المفهوم تم نحته داخل مجال فلسفة العلم وضمن السياق الغربي، فإنه عرف استعمالا وتطويرا من لدن المفكر المصري عبد الوهاب المسيري رحمه الله إذ أشار إلى

---

[23] ينظر الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت 321هـ ،933م)**جمهرة اللغة**، (دار العلم للملايين – بيروت ط: 11987)(1/ 321)

[24] ينظر المعجم الوسيط ص 670

[25] ينظر المعجم الوسيط ص971

[26] مختار الصحاح صفحة 205

أنه عندما يتجه الإنسان إلى ظاهرة ما مستهدفا تفسيرها، فانه يقوم بعدة خطوات حتى يصل إلى هذا التفسير، وحينما يرى الإنسان ظاهرة ما، فعليه التعامل مع عدد كبير من العلاقات والتفاصيل والحقائق والوقائع، وعندئذ يقوم العقل باستبعاد بعضها لأنه يعتقد أنها لا دلالة لها "من وجهة نظره" ويستبقي البعض الآخر "وهذا هو التجريد" وتأتي بعد ذلك خطوة الربط بين العلاقات والوقائع والحقائق التي أبقاها فينسقها تنسيقا خاصا بحيث تصبح حسب تصوره مماثلة للواقع، أي أن تكون قادرة على تقديم صورة معبرة بشكل صحيح عن الواقع، وما ينتج عن عملية التجريد وتصور العلاقات بين عناصر الظاهرة يسمى "النموذج" فهو بناء يماثل الواقع لكنه افتراضي، أي متخيل ومع هذا تشبه العلاقات بين عناصره العلاقات الموجودة بين عناصر الواقع(27) فالنموذج التفسيري هو بناء افتراضي تجريدي تخيلي مؤسس على الواقع يهدف إلى تصنيف الظواهر والوقائع وتنظيمها وضبط العلاقات فيما بينها بشكل يكون معه هذا البناء الافتراضي أكثر قدرة على التعبير عن الواقع وتفسيره فالنموذج التفسيري في حقيقته كما يقول المسيري ليس إطارا للعلاقات النسبية، ولا نظرية لتحديد الأسباب، وليس إطارا تجريبيا صارما. وإنما هو إطار لتنظيم المعرفة وتحديد العلاقات والتركيبات الداخلية كما يحتوي المعلومات وينظمها ثم يعيد ترتيبها مع كل معلومة جديدة(28) من هنا نعرف المنظور المعرفي بأنه (عملية إبداعية وأداة تحليلية تقوم على عملية تفكيك الظواهر والوقائع إلى وحدات، وتجريدها والربط فيما بينها بشكل يمنحها قدرة تفسيرية تكشف عن البعد المعرفي الكامن وراء الظاهرة)(29).

---

[27] ينظر المسيري، عبد الوهاب(توفي 2008م/1429ه) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشوروق، 2006م، ج1، ص68

[28] ينظر المرجع السابق، ج1، ص69

[29] البطيوي، عزيز، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2018، ص291

المبحث الثاني: الشرق والغرب والحضارة في الفكر المعاصر:

أولاً: الشرق والغرب في الفكر المعاصر.

كلمتا الشرق والغرب من الكلمات العامة التي اختلف الباحثون في تحديدهما وبيان المراد بهما. فكثيرا ما يقال إنّ الشرق يلتقي بالغرب، ويقال أيضًا الشرق شرق، والغرب غرب، ويستخدمون هاتين الكلمتين في مقابل بعضهما، فالمؤرخون يقولون تاريخ الشرق وتاريخ الغرب،

والفلاسفة يقولون : يلتقي الإلهام الشرقي والمادية الغربية في الإسكندرية.

وبغض النظر عن هذه التعبيرات، فالشرق والغرب كلمتان عامّتان، وإذا أردنا تحليلهما، فإن لهما انتماءات محددة، تسهمان في بناء تعريفهما.

وللباحثين في تعريف الشرق والغرب عدة معايير أو اتجاهات، وبناءً عليها تتضح دلالات كل منهما .

1. تحديد معنى الشرق والغرب بالمعنى الجغرافيّ: فمن الباحثين من أرجع الفرق بينهما إلى: المعنى الجغرافي، كما فعل أحمد أمين، فحدّد الشرق بأنه ما كان شرقَ البحر الأبيض المتوسط وامتداده شمالًا وجنوبًا، فيشمل ذلك: الهند والصين واليابان والاتحاد السوفيتيّ – آنذاكَ – وإيران والعالم العربيّ بأجمعه بما فيه مصر، كما يشمل أستراليا، ويشمل الغرب: أوروبا وأمريكا، ولكن هذا التحديد الجغرافي عليه اعتراضات كثيرة، أهمها أنّ في أوروبا ما يُعد شرقيًّا مثلَ جزءٍ كبيرٍ من تركيا (30).

[30] ينظر أمين، أحمد (ت1373هـ ، 1954 م) **الشرق والغرب** (مؤسسة هنداوي، 2017) ص9

2. تحديد معنى الشرق والغرب بالزمن: فالغرب يدل على معنى المدنية الحديثة بأساليبها الخاصة، كالاعتماد على العلم في كل مرفق من مرافق الحياة من تربية وزراعة وتجارة واقتصاد ونحو ذلك، ويقابل هذه المدنيات غير الحديثة من مدنية فرعونية ورومانية ويونانية وعربية وغير ذلك، فالعنصر الأساسي في التقسيم هو الزمن (31).

ويرى تييري هنتش في كتابه "الشرق المتخيل(أنّ الحدود بالذات تشكل عنصرًا أساسيًا من عناصر إشكالية البحث في قضية "الشرق والغرب؛ إذ إنها ليست مجرد قضيّة مكان، لكنها قضية زمان، وأول سؤال طرحه متى قام مخيالنا برسم هذا الخطّ الوهميّ (شرق غرب)(32) وهذا الرأي يجمع بين تحديد الزمان والمكان وهو معنى جيد ويحتاج إلى إضافة عناصر أخرى مثل الفكر والثقافة.

3 . تحديد معنى الشرق والغرب بناءً على الخصائص: اتجه بعض الدّارسين إلى تحديد مفهومي الشّرق والغرب من خلال الخصائص التي يعتمد عليها أهل الشرق والغرب؛ فالغرب يختص بالتقدم الميكانيكي، والحركات الصناعيّة، والديمقراطية، وتلوين أدبه وفنه بلون خاصّ عمليٍّ أكثر منه نظريًّا، وتقدير النساء ومنحهن كثيرًا من الحرية، والشرق يتصف بالتواكل والخضوع للاستبداد، والمساومة في المعاملة، والتقليل من حريات النساء، وكثرة الاعتقاد بالخرافات وغير ذلك (33) وهذا المعى المبني على الخصائص أغفل المعنى الجغرافي والزماني حتى بمجرد الذكر لها .

---

[31] المصدر السابق ص11

[32] هنتش، تييري(ت2005م) **الشرق المتخيل** (دار الفارابي بيروت ترجمة غازي بارو وخليل أحمد خليل،2004) ص13

[33] ينظر أمين، أحمد **الشرق والغرب** ص9

ومن الذين حددوا معنى الغرب بالخصائص نيال فرغسون، فيقول في تعريف الغرب:(إنّ الغرب هو أكثر بكثير من تعبير جغرافي إنه مجموعة من المعايير والسلوكيات والممارسات، وهو يمتلك مع ذلك حدودًا ليست واضحة عند أطرافه)(34) وهذا المعنى يستثني كما أسلفت سابقاً المعنى الزماني والمكاني

4. تحديد معنى الشرق والغرب من خلال المادية والروحانية:يذهب بعض الباحثين إلى التمييز بين الشرق والغرب، بناءً على الجانب الماديّ، ومنهم المفكر زكي نجيب محمود الذي يميز بين الشرق والغرب بالاعتماد على الجانب المادي والجانب الروحاني؛ فيرى أنّ نظرة الشرق إلى الوجود نظرة الفنان، في حين كانت نظرة الغرب إلى الوجود نظرة العالِم، حتى لتستطيع أن تعدَّ الشرق معرضًا كبيرًا من معارض الفن، وأن تعد الغرب معملًا كبيرًا من معامل العلم... فما من شك في أنّ للمشرق لونًا ثقافيًّا واحدًا تتّحد فيه أقطاره جميعًا وهو الروحانية التي ظهرت في أرضه دينا وفنا (35).

بعد استعراض الباحث للأراء السابقة فإنه يرى أن تعريف الشرق والغرب في سياق هذه الدراسة هو أنّ الشرق أو الشرقيّ هو من يدين بديانة الإسلام وليس من سكن ناحية شروق الشمس، فكلّ مسلم شرقيٌّ ولو عاش في الغرب، أما الغربي فهو المنتمي للثقافة الغربية بغض النظر عن دينه، وبذلك أكون قد خرجت من التعريف الجغرافي بسبب قرب العالم من بعضه.

---

[34] فرغسون،نيال **الحضارة كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب** (شركة المطبوعات ط3) ص56

[35] ينظر محمود، زكي نجيب (ت 1413 هـ ، 1993 م) **الشرق الفنان** (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985) ص18

ثانياً: الحضارة في الفكر المعاصر

الحضارة من المصطلحات والمفاهيم التي هي وليدة العصرين الحديث والمعاصر، وتطرح العديد من الإشكاليات والقضايا، بحسب تنوع المدارس والباحثين في شتّى العلوم الإنسانية، وتباين تكويناتهم وعقائدهم وآرائهم ومجتمعاتهم، ويعد مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم التي أخضعت لعملية متواصلة من التلبيس والتشويه وطمس الدلالات، بصورة أدّت إلى تحويل المفهوم إلى صفة ذات أبعاد قيميّة تفتقد الماهية والمصدّقات، فأصبح المفهوم يطلق على أشياء وعمليات ونظم وأنساق وأفكار متعارضة مختلفة لا في مقاصدها ونتائجها وغايتها فحسب، وإنّما في عناصرها ومكوناتها أيضًا، وهو الأمرُ الذي اقترب بهذا المفهوم إلى مفاهيم مثل الحداثة والتقدم، ومن خلال تعريف العلماء للحضارة يمكننا رصد اتجاهين رئيسَيْنِ حول تعريف الحضارة كما يأتي:

أحدهما: يُعنى بطرق الثقافة والقيم الأخلاقية والآداب والفنون وهذا المعنى أقرب ما يكون من المعنى الاصطلاحي للحضارة.

الثاني: يعنى بالمنجزات والأعمال التي حققها الإنسان في مجال التّشييد والبناء والإنتاج الصناعي والزراعي، أو بعبارة أخرى (التكنولوجيا) أي استخدام النتائج.

وبناءً على ما تقدم فقد تعددت منظورات تعريف الحضارة :

- المنظور المؤسسي التطوري : يرى نيال فرغسون في كتابه "الحضارة(أنّ الحضارة تتجاوز وجود حفنة من المعارض الفنية رفيعة المستوى، وهي مؤسسة إنسانية شديدة التطور، وأنّ الحضارة هي أكبر وحدة مفردة للمؤسسة الإنسانية، وهي أرفع حتى من إمبراطورية

وإن كانت أكثر غموضًا منها وهي استجابة مواطنيها العملية لبيئاتهم) يشمل ذلك تحديات الغذاء وتوفير المياه والمأوى والدفاع عن أنفسهم (36).

- المنظور الاجتماعي والتاريخي: وربط الحضارة بالعناصر يقول وِل ديورانت في كتابه "قصة الحضارة": إنّ الحضارة عبارة عن نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها (37)، ولكن هل تتبقّى حضارة إذا فقد عنصر من هذه العناصر؟ وهل غياب الموارد الاقتصادية أو غيرها يماثل غياب الثقافة أو الأخلاق؟ لعلّ العناصر الأربعة التي ذكرها ديورانت تنشئ حضارة مادية جافة يلزمها موجه سماويّ لا نظام اجتماعيّ.

– المنظور الأنثروبولوجيّ(علم الإنسان): يعرف إدوارد تايلور الحضارة بأنّها عبارة عن الكلِّ المركّب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات، والقيم، والتقاليد، والقوانين، والمعلومات، والفنون، وأيّ عادات أو سلوكيات أو إمكانات يُمكن أن يحصل عليها فردٌ ما في مجتمعٍ ما (38)، ولكن هذا يدفع للتّساؤل عمّا سيوجّه جميع هذه الإمكانيات؛ إذ لا بدّ لها من إضافة الدّين صانعًا للنّظام لتكون حضارة إنسانية روحانية تعتني بالإنسان من الداخل.

– المنظور الفلسفيّ: يرى أندري لالاند أنّ الحضارة (مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل تتّسم بسمة دينية أخلاقية، جمالية فنية، تقنية أو علمية، ومشتركة بين كل

---

[36] فرغسون، نيال **الحضارة: كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب** ص 38

[37] ينظر ديورانت، ول (ت 1401هـ ، 1981 م) **قصة الحضارة**، (دار الجيل للطباعة بيروت) (ج1، ص3).

[38] حمودة، عبدالحميد الحضارة **العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي** (الدار الثقافية للنشر) ، ص11 نقلاً عن إدوارد تايلور

الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدة مجتمعات مترابطة)(39) تحديد معنى الحضارة بحسب خصائص الجيل أو الأجيال المتوارثة جيد لكنه يحتاج الى إضافة المزيد من العبارات ليصبح معنى متكامل.

– منظور صدام الحضارات: يشير صموئيل هنتنغتون في كتابه "صدام الحضارات" إلى أنّ الحضارة عبارة عن تجمع ثقافي بشري وهي أعمّ من الهوية الثقافية ويذكر تسمية "نحن الكبرى" والتي نشعر من خلالها أننا داخل بيتنا الثقافي بمقابل "هم" ويقصد بها الذين من خارجنا فالحضارة جماعية متكاملة، وليست فردية ناقصة، والثقافة هي الفكرة العامة في كل تعريف للحضارة تقريباً (40).

– منظور فلسفة الحضارة: يرى آرنولد توينبي أن محور الدراسات التاريخية في موسوعته study of history(درسة التاريخ) إلى أنّ مفهوم المجتمع يعدّ المفهوم الأساس الذي يرتكز عليه توينبي في دراسته للتاريخ، وهو مرادف عنده لمفهوم الحضارة، فإذا رأينا توينبي يقول مثلا: المجتمع الغربي أو الحضارة الغربية فهما بمعنى واحد لا يختلف أحدهما عن الآخر، وعلى هذا تنتمي بريطانيا حضاريا للمسيحية الغربية، وهي الحضارة أو المجتمعات التي تدين بالمسيحية، لأن الدين كما رأينا في اللمحة العكسية لتاريخ بريطانيا هو ما تنتهي إليه فصول السيرورة التاريخية، وهو بهذا كان في الحقيقة مبدأ كل شيء إذ حسب توينبي أدّى إلى دمج

---

[39] لالاند، أندري (ت 1383هـ،1963م) **الموسوعة الفلسفية**(منشورات عويدات ترجمة خليل أحمد خليل، ط2، بيروت،)2001 ج1 ص1728

[40] ينظر هنتنغتون، صموئيل(ت 1419هـ، 1998 م) **صدام الحضارات** (ترجمة طلعت الشايب ط2، 1999) ص 69

تلك القوميات والجماعات الهمجية المنعزلة في حظيرة المجتمع الغربي والحضارة الغربية .(41)

- المنظور الحضاري: عرّف مالك بن نبي – رحمه الله – الحضارة على أنها جملة العوامل المعنويّة والماديَّة التي تتيح لمجتمع ما أن يوفِّر لكلِّ عضوٍ فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوُّره(42)،، ولإنتاج حضاريّ يجب أن تجتمع ثلاث مقومات هي الإنسان والتراب والزمن ويمثل على ذلك بالماء المكوّن من أوكسجين وهيدروجين ولا يمكن أن نسمي الماء بوجود أحد المكونات، بل إنّ اجتماع المكوّنات هو ما يُظهر مُنتجًا مُتكاملًا(43).
- المنظور الديني الإسلامي: يرى الدكتور يوسف القرضاوي أنّ الحضارة تختلف بمعناها من خلال مرجعيتها؛ فالحضارة الإسلامية ربطت الإنسان بالله وربطت الأرض بالسماء، وجعلت الدنيا للآخرة، ومزجت الروح بالمادة، ووازنت بين العقل والقلب، وجمعت بين العلم والإيمان، وحرصت على السموّ الأخلاقيّ حرصها على الرقيّ الماديّ، أمّا الحضارات الأخرى فقد عنيت أكثر ما عنيت بالجانب الماديّ من الحياة والجانب الجسديّ والغريزيّ من الإنسان، واللذات العاجلة من الدنيا، وجعلت الدنيا أكبر همها، ومبلغ علمها، ويشير في مصطلح جديد هو (الفقه الحضاري) إلى أنه معني بنقل عقل الإنسان من فهم بدائي إلى فهم أعمق للكون من عقل راكد إلى عقد متحرك (44).

---

[41] ينظر توينبي، أرنولد(ت 1395، 1975م) **مختصر دراسة التاريخ** (المركز القومي للترجمة ترجمة محمد فؤاد) (ج3، ص149)

[42] ينظر نبي،مالك(ت 1393هـ،1973م) **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** (دار الفكر دمشق ط1 1988) ،ص 42

[43] ينظر نبي،مالك شروط النهضة (دار الفكر 1986 ترجمة عمر كامل، عبدالصبور شاهين)ص45

[44] القرضاوي يوسف ،(ت 1443هـ،2022م) **السنة مصدرا للمعرفة والحضارة**، (دار الشروق ط 4) ص 204

وإذا كان مفهوم الحضارة بهذا التعدد الدلالي فإن أهم ما يؤسس لهذا التعدد هو البعد الديني، فصانع الحضارة يلجأ إلى التطور والنمو والتعايش بغض النظر عن أوامر الدين له، ومن هنا تنتج الأديان التي ليس لها كتاب مُوجِّه لها، وتختلف الاديان في تعريف الحضارة من خلال توجُّه الدين؛ فمثلا نجد أن الديانة النصرانية اتجهت نحو الروحانية والرهبنة فكان نتاجها للحضارة في القرون الوسطى معدومًا، وعندما انفصلت عن الدين أنتجت حضارة بلا دين وبلا أخلاق، وفي المقابل فإنّ الديانة اليهودية لم تنتج حضارة وخصوصًا في الشتات والتيه، بسبب بعدهم عن الاستقرار، فأثّر ذلك عليهم حضاريًّا، وحديثًا أَنْشَأتِ اليهوديّة حضارةً منقوصة من غير أخلاق ولا أساسيات، أمّا الإسلام – عندما كان المسلمون متمسكين بدينهم – فقد أنتجَ حضارات متعايشة مع الآخر، واستفادَ من علومهم المادية والحضاريّة، وبالمقابل تأثر الآخرونَ بالمسلمين، وكان التأثير متبادلًا، كما حصل ذلك في الحروب الصليبية؛ فأدرك الغرب حضارة الإسلام وأهميتها، وتعايشوا معها واستفادوا منها وأنشؤوا علومهم ونهضتهم الحديثة والمعاصرة.

المبحث الثالث: الشرق والغرب والحضارة عند بيجوفيتش

أولاً: منظور بيجوفيتش للحضارة:

يقدّم هذا المبحث تعريف الحضارة على تعريف الشرق والغرب، وسبب ذلك الأهمية الكبرى التي أولاه إيّاها بيجوفيتش في كتاباته.

أولى بيجوفيتش في كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" أهمية بالغة لمفهومي الثقافة والحضارة فعقد فصلًا سمّاه "الثقافة والحضارة"، ناقش فيه جوانب عديدة كان أوّلها العبادة، ومن ثَمَّ بيان تأثير التعليم والتأمل على الثقافة والحضارة، وكان من الأمور التي ناقشها في ضوء ذلك موضوع الثقافة الجماهيرية من خلال الإنسان والمجتمع، ومن جملة ما طرح في الفصل ما عرَّفه بالريف والمدينة، وختم الفصل بتقديمه للثقافة على الحضارة مع عدم إمكانية رفض الحضارة.

اعتمد بيجوفيتش في كتابه كثيرًا على فكرة الثنائيات؛ فتارة كانت الثنائيات متفقة مثل الخلق والتطوّر، وتارة تكون مختلفة مثل الثقافة والحضارة.

انتصر علي عزت بيجوفيتش للثقافة على الحضارة بشكل كبير، وقد أصرّ على ذلك حتى استخرج لكلّ منهما تعريفًا خاصًّا، وأرجع الآثار لهما مثل العلاقة مع الدين والتعلّم والتأمل والعلاقة بالحرية.

ولا شك أن انتماء بيجوفيتش إلى سياق تاريخيّ حضاريّ عرف ثنائيةً متناقضة في كل شيء، جعله يفصل بين الثقافة والحضارة، فثقافته دينية إسلامية بينما كان يعيش في حضارة غربية. بناءً على ما سبق، فإنّه من اللازم عقد مقارنة بين مفهوميْ الثقافة والحضارة عند بيجوفيتش لبيان الفرق بينهما من منظوره، وذلك من خلال بنية العلاقات الآتية:

1. **العلاقة بالدين والسماء:** يرى بيجوفيتش أنّ الثقافة آتية من السماء وتشتمل على الدين والفن والأخلاق والفلسفة، وهي التي تحدد علاقة الإنسان بالسماء، ولها القدرة على التأثير القوي على الإنسان، بينما ترتبط الحضارة بالأرض والطبيعة والمادة وتأثيرها محدود وموضعي، وهي استمرار للتقدم التقني، ومن ثَمَّ لا تقدم الحضارة تقدُّمًا روحيًّا، فالمادة والروح دون ثنائية لا يعبّران عن فائدة، يقول في كتابه في الفصل الثاني "الثقافة والحضارة": الثقافة تبدأ (بالتمهيد السماويّ) بما اشتمل عليه من دين وفن وأخلاق وفلسفة، وستظل الثقافة تُعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، فكلّ شيء في إطار الثقافة إمّا تأكيد أو رفض أو شك أو تأمل في ذكريات ذلك الأصل السماوي للإنسان. تتميز الثقافة بهذا اللغز، وتستمر هكذا خلال الزمن في نضال مستمر لحل هذا اللغز (45).

2. **العلاقة مع الفن:** يقول بيجوفيتش: الثقافة هي الفن الذي يكون به الإنسان إنسانًا بينما الحضارة هي فن العمل والسيطرة وصناعة الأشياء صناعة دقيقة وهي التغيير المستمر للعالم وهي تحتاج إلى تعلُّم ودافعية من خلال عدم القناعة بالجانب الطبيعي، ويعبر عن ذلك بقوله: المادي الحيواني.أما الثقافة فمعناها (الفن الذي يكون به الإنسان إنسانًا9، والحضارة تعني: فن العمل والسيطرة وصناعة الأشياء صناعة دقيقة (46).

3. **العلاقة مع الحرية:** ويرجع – رحمه الله – الثقافة إلى أنها شعور أبديّ يستشعر من خلاله الإنسان أنه حر في اختياراته، وكون الثقافة بطبيعتها الدينية تدفعه إلى التقليل من احتياجات الإنسان أو الحد من درجة إشباعه، ومن ثمّ تؤدي إلى توسُّع آفاق الحرية الجوانية للإنسان

---

[45] ينظر بيجوفتش، عزت(ت1424هـ ،2003م) **الإسلام بين الشرق والغرب(دار الشروق، ترجمة محمد يوسف عدس ط4 2014)** ص 107

[46] ينظر المصدر السابق ص 107

بينما الحضارة تعدُّ استمرارًا للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد كونها تبادلٌ ماديّ بين الإنسان والطبيعة، وهي تأثير الذكاء على العالم الخارجي أو الطبيعة، والحضارة كما يرى (ليست شرًّا وليست خيرًا والإنسان مكلّف ببناء الحضارة، واحتياجه لها كاحتياجه للطعام والشراب وهي تعبير عن النقص الحاصل في حريتنا وهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم) (47).

4. **العلاقة مع الفرد والمجتمع:** يرى بيجوفيتش أنّ الفردَ هو حامل الثقافة وليس المجتمع كما هي الحضارة، والثقافة عنده (هي إنتاج مجتمع ناتج عن ثقافة الفرد الروحية والمادية ثنائية القطب؛ أما الحضارة فهي استمرار للتقدم التقني لا الروحي)، بينما يعدُّ بيجوفيتش الحضارةَ ناشئة عن المجتمع، وهي قوة على الطبيعة تكتمل عن طريق العلم، ووسائلها الفكر واللغة والكتابة، فيقول في فصل "الثقافة (والحضارة": حامل الثقافة هو الإنسان، وحامل الحضارة هو المجتمع، ومعنى الثقافة القوّة الذاتية التي تُكتسب بالتنشئة، أمّا الحضارة فهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم). فالعلم والتكنولوجيا والمدن والدول كلها تنتمي إلى الحضارة، ووسائل الحضارة هي الفكر واللغة .(48)

5. **العلاقة بين التأمل والتعلم:** ويقول في مستهل الحديث للتفريق بين التعلم والتأمل: (الثقافة تُنوِّر الإنسان ؛ فهي تحتاج إلى تأمل، وهو جهد جوّاني للتعرف على الذات ومكان الإنسانية في الوجود، ومن ثمّ يؤدي إلى الكياسة والطمأنينة والحكمة)(49)، وعليه تتعارض مصطلحات: الإنسان والعالَم والروح والذكاء، ويرى بيجوفيتش أنّ المدرسة التي تقدم حلولًا أخلاقية وسياسية

---

[47] المصدر السابق ص 111

[48] المصدر السابق ص 109

[49] المصدر السابق ص 110

جاهزة هي مدرسة همجية تخلق أشخاصًا أتباعًا (50) لا أحرارًا، فمن أسباب الحضارة ونتائجها أنّها تقنية، وهي بالتالي بحسب بيجوفيتش تُهيّئ العضو للدخول إلى المجتمع من خلال التعلم.

6. **العلاقة مع الموضوعات الخالدة:** الثقافة تعالج موضوعات خالدة وعلى رأسها الحب والولادة والزواج وبالأخص الرجل رجل والمرأة امرأة ، بينما لا يوجد تناقض واضح بين الذكر والأنثى في الحضارة، وهذا ما يشكل أشد الأخطاء من وجهة نظر الثقافة(51).

لا يدع بيجوفيتش مجالًا للشكّ في أنّ الحل للحضارة يجب أن يكون من خارجها فيقول: (لا يمكن دحض الحضارة من داخلها وإنما من خارجها؛ أي من الثقافة، فلا يستطيع العلم أن يتراجع نحو الدين، ولا يمكن للحضارة أن تتراجع نحو الأسرة التقليدية) (52)، ولسان حاله يقول إنّ الثقافة هي الحل، فيؤكّد بيجوفيتش أنّ الحضارة لا يمكن دحضها من داخلها، وإنما فقط من خارجها؛ أيْ بواسطة الثقافة، فمن وجهة نظر الحضارة، لا يستطيع العلم أن يتراجع نحو الدين أو تتراجع الحضارة إلى الأسرة التقليدية، فالدائرة محكمة الإغلاق.

يؤكّد بيجوفيتش أنّ نقده للحضارة ليس دعوة لرفضها، فيقول: (الحضارة لا يمكن رفضها، حتى لو رغب المرءُ بذلك، والحل أنْ تتحطم الأساطير التي تحيط بالحضارة، وهذا التحطيم سيؤدي إلى المزيد من الإنسانية في العالم) (53)، وهذه هي مهمّة الثقافة التي بإمكانها هي فقط تفكيك الحضارة.

---

[50] المصدر السابق ص 117

[51] ينظر بيجوفيتش علي عزت، **هروبي إلى الحرية** (دار الفكر، ترجمة إسماعيل أبو البندورة ط 14 ، 2021) ص 294

[52] الإسلام بين الشرق والغرب ص 135

[53] سيتناول الفصل الثالث أزمة الحضارة الغربية وفقَ مفهوم بيجوفيتش ومنظوره والذي سيلقي بظلاله على أزمة الحضار المعاصرة من خلال كتاباته.

من خلال دراسة مفهوميْ الثقافة والحضارة كما سبق يتبيّن الآتي:

من أهم أسباب التفريق بين الثقافة والحضارة عند بيجوفيتش هو موضوع الإلحاد؛ فيرى بيجوفيتش من خلال ربط الحضارة بالمادة أنّ الحضارة تؤدي إلى الإلحاد؛ لأنّ منبعها هو المادة والإنسان، وهي تُعنى بالتعلم وليس التأمل بينما الثقافة سماوية وتدعو إلى التأمل، فكلّ ثقافةٍ مؤمنةٌ في جوهرها، وكلّ حضارةٍ ملحدةٌ (54).

كثيرًا ما تأمل بيجوفيتش موضوع الحرية وأهميته بين الأفكار بسبب ما عاناه من محن السجن والاستبداد والاحتلال، لذلك يضع على سلم أولوياته موضوع الحرية ويربطه بالثقافة بينما يرى أنّ الحضارة تولّدُ آلاتٍ لا بشرًا.

لكن بالنظر إلى الدفاع المستميت من قبل بيجوفيتش لموضوع تقديم الثقافة على الحضارة إلا أنه لم يرجع هذا التقديم إلى آراء علمية وإنما كان يربطها دائمًا بالوقائع التي يراها مناسبة.ولا يكاد يخلو موضوع في الكتاب من ذكر مساوئ الحضارة وتأثيراتها السلبية على الفرد والمجتمع والعلاقات الأسرية والأم.

ويمكن القول أن الفيلسوف المفكر علي عزت بيجوفيتش لم ينظر إلى الحضارة بالمعنى الإيجابي الذي نظر إليه غيره من المفكرين، بل وصل فيما يظهر إلى درجة الصدام بين الثقافة والحضارة، وسبب ذلك تفريقه ما بين الثقافة والحضارة، وهو تمييزٌ عرفه المجال التداولي الغربي خصوصاً في فرنسا وألمانيا، يقول الكاتب الفرنسي لويس دوللو في كتابه "الثقافة الفردية والثقافة الجماهيريّة": إنّ الاصطدام بين الفرنسيين والألمان ما بين عامي ١٩١٤م و١٩١٨م، لم يتم في ساحات القتال فحسب، بل على أرضية الأفكار أيضًا باسم

[54] الإسلام بين الشرق والغرب ص 60

الحضارة الفرنسية في مواجهة الثقافة الألمانية، وبهذا فإنّ موضوع الثقافة والحضارة والاتسام فيما بين الحضارات قديمٌ وله واقع حضاري بين الأمم والشعوب.

ثانياً: الشرق والغرب عند بيجوفيتش:

أطلق بيجوفيتش على كتابه المشهور اسم "الإسلام بين الشرق والغرب" والذي كتب بلغة بلاده وترجم إلى اللغة الإنجليزية ثم إلى العربية، فماذا يقصد المؤلف **بالشرق** وماذا يقصد **بالغرب؟** ليسَ في كتاب بيجوفيتش تعريف محدد للشرق والغرب، ولكن القارئ لكتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" يعلم أنّ الشرق والغرب ليس عبارة عن جغرافيا، أو تابع لدين بعينه، وبتتبع الفرق بينهما يظهر أنّ **الشرق** هو ما تبع لدين الإسلام الروحي والمادي أو النصرانية الروحية أو اليهودية المادية وكان يسكن في الشرق وهي الأديان الروحية، **والغرب** هو ما ليس له دين، وكان نطاقه الجغرافي ضمن الغرب، وهو المعني بالمادي الرأسمالي والاشتراكي والعدمي والماركسية والداروِينيّة.

يقول بيجوفيتش: "كان على الإسلام الذي يحتل موقعا وسطا بين الشرق والغرب أن يصبح على وعي برسالته الخاصة"، ويكمل فيقول: (وكما كان الإسلام في الماضي الوسيط الذي عبرت من خلال الحضارات القديمة إلى الغرب فإن عليه اليوم مرة أخرى ونحن في عصر المعضلات الكبرى أن يتحمل دوره كأمة وسط في عالم منقسم، ذلك هو معنى الطريق الثالث طريق الإسلام)(55) وهنا يؤكّد بيجوفيتش أنّ الإسلام أمة وسط بين الثقافات والحضارات ويبدو له أنّ الإسلام يجب أنْ يحتل المنطقة الوسط في الأفكار والحقائق بين التفكير الشرقيّ

[55] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 58

والغربيّ كما هو حال الموقع الجغرافي الذي يقع بين الشرق والغرب(56)، ويمكن تقريب المعنى بأنّ الإسلام وسط بين الروح والمادة أو بين الضمير والعقل أو بين الطبيعة والوجود.

[56] بيجوفيتش، علي عزت **سيرة ذاتية وأسئلة لا مفر منها**، (دار الفكر، ترجمة د. عبد الله الشناق ود. رامي جرادات، ط 1 2004) ص 48

الفصل الثاني: المنظور المعرفي (المصادر– الخصائص – الأسس).

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مصادر المنظور المعرفي عند بيجوفيتش.

المبحث الثاني: خصائص المنظور المعرفي عند بيجوفيتش.

المبحث الثالث: أسس المنظور المعرفي عند بيجوفيتش.

الفصل الثاني: المنظور المعرفي عند بيجوفيتش (المصادر – الخصائص – الأسس):

يركّز هذا الفصل على دراسة المنظور المعرفي لبيجوفيتش من خلال التعريف بأهمّ المصادر التي أنتجت المنظور المعرفي عنده من خلال مجموع كتبه ونتاجه الفكريّ، والرّجوع إلى أهمّ المصادر التي اعتمد عليها، بهدف تحديد خصائص المنظور المعرفي لديه، وأهم الأسس التي قامت عليها أفكاره وإنتاجاته العلمية.

المبحث الأول: مصادر المنظور المعرفي لدى بيجوفيتش

بيجوفيتش عالم ومفكر وفيلسوف، مِن كبار من ألّف في الفكر والفلسفة الإسلامية، ومع أنّه عاش في بيئة ماركسية شيوعية غربية مادية، إلّا أنّه كان عميق الفكر، إسلامي النزعة، ماضيًا بين دروب الفلسفة باحثًا ومحللًا، ومفككًا ومركبًا لها، تارة يكتب في الفكر الإسلامي ويستشهد بآياته وتشريعاته، وتارة يعالج مسائل الفلسفة القديمة كأنه يجلس مع أفلاطون وأرسطو ويتحدث معهم بعمق، وتارة يناقش ماركس والماركسيّة منظّرًا وناقدًا، ومن جهة أخرى يتأمل الدين الإسلامي، والأديان السماوية، والأديان الوضعية، والفلسفات الغربية، وأحيانًا يتأمل في الفنون والمسرح والأفلام، ولديه من الإحصائيات والدراسات ما يستعين به ليدلّل على ما لديه من أفكار، وهذا التنوع في فروع المعرفة لديه يدلل على تنوع مصادر ثقافته ويحاول الباحث في هذا المبحث أن ستنبط المصادر التي اعتمد عليها بيجوفيتش في تأسيس مَنظورِه المعرفي، بالرّجوع إلى كتبه وأفكاره.

1. **القرآن الكريم:**

نشأ بيجوفيتش في بيئة انتشر فيها الشيوعيون في المدارس، حتى كان أغلب المدرسين قبل حكم النظام الشيوعي، ينتمون إلى الشيوعية سرًّا، وهذا مما ابتليت به البوسنة في تلك الفترة، وكان له أثر كبير في زعزعة نفوس الشباب، ولكنَّ بيجوفيتش ظلّ صامدًا مع كثرة المغريات. يعود الفضل في التزام بيجوفيتش إلى أمه التي كانت توقظه دائمًا للذهاب إلى مسجد الحيّ مع تثاقُله وهو ابن اثني عشر عامًا، ولكن ابتسامتها عند عودته كانت تنسيه التعب، يستذكر بيجوفيتش في كتابه "أسئلة لا مفر منها" إمام المسجد الذي كان يصلي فيه، وكان يقرأ سورة الرحمن في الركعة الثانية من صلاة الفجر فيقول: "إن المسجد بين أزهار الربيع، وصلاة الفجر، وسورة الرحمن، وذلك الإمام العالم الذي يوقره أهل الحي، كانت كلها صورًا جميلة ما زلت أراها بوضوح بين ضباب السنين التي مضت" (57).

طبَّق بيجوفيتش بنظرة المفكّر والفيلسوف مبدأ الثنائيات على كثير من المواضيع والأفكار وعدّه الحل الأمثل والإجابة الوسطى لأي تطرف في الاتجاهات، ومن ذلك ما أسماه "ثنائية مصادر الإسلام" وهي القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فهما يمثلان بحسب رأيه الخبرة والإلهام، الزمن والخلود، الفكر والحياة.

يقترب عدد استشهادات بيجوفيتش بآيات القرآن الكريم في كتبه من مئة وخمسين دليلًا، وفي هذا ما يدل على أنّ القرآن الكريم مصدرٌ رئيسٌ معتَبَر في فكره وكتبه.

تساءل بيجوفيتش في كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" متأثرًا بالإمام الغزالي حول مسألة شغلت فكره، ألا وهي: كيف يجب أن نقرأ القرآن الكريم؟ ووضع لهذا السؤال إجابات واضحة ودقيقة، هي:

---

[57] السيرة الذاتية أسئلة لا مفر منها ص 21.

– أن لا ننظر إلى آيات القرآن الكريم بطريقة منفردة مجتزأة.

– يجب النظر إلى القرآن الكريم بِكُليَّته، بالإضافة إلى وجود تسلسل لفهم القرآن فيقول: "القرآن يتلى، ثم يفسر، ويتلى، ثمّ يدرس، ويتلى مرة أخرى".

– تطبيق ما تتم قراءته من القرآن الكريم؛ إذ ينتقد بيجوفيتش من يقرأ الآيات ألف مرة، ولكن لا يطبق ما قرأه ولو مرةً واحدة في حياته(58).

لبيجوفيتش نظرة ثاقبة في بُعد الناس عن تطبيق ما جاء في القرآن ويعود ذلك برأيه لسببين:

الأوّل: اعتماد الناس على التغنّي بالقرآن والاستماع له بدلًا مِن قراءته، وبالتالي ابتعد الناس عن القيم التي أقامها القرآن مثل: الجهاد والاستقامة والتضحية بالنفس.

الثاني: علم التجويد الذي يتحرى الدقة في قراءة القرآن الكريم، ويرى أن سبب إنتاج هذا العلم هو تجنب ممارسة القرآن على الوجه المطلوب (59).

ولعل بيجوفتش لا يقصد التهميش كلياً، لكنه ينتقد الانشغال بالتجويد على حساب العمل، أو المبالغة في التجويد الذي انتجت قراءة يتغنى بها وتهمل الجوهر.

يشير بيجوفيتش في كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" إلى اهتمام الإسلام بالقراءة والكتابة باعتبارهما أقوى محرك للحضارة، وهذا ليس غريبًا، فأوّل ما نزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – من القرآن الكريم(60) قوله تعالى: ﴿اقرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ﴾ (61).

---

[58] بيجوفيتش، علي عزت **الإعلان الإسلامي** (مدارات للأبحاث والنشر نرمة محمد يوسف عدس ط9 ،2021) ص 98

[59] ينظر المصدر السابق ص 99

[60] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 273

[61] سورة العلق الآية 1

استند بيجوفيتش على كثير من الآيات لبيان رأيه وتوضيحه للقارئ ولم يعتمد أسلوب الرتابة العلمية في الرجوع إلى المفسرين، بل كان يضع كل آية في مكانها بحسب ما يراه مناسبًا، من ذلك على سبيل المثال:

– في نقد أزمة الحضارة الغربية، ومبدئها (اخلق دائما شهوات جديدة)(62) يدعو بيجوفيتش إلى تحطيم الشهوات، وبالتالي عدم تجزئة الدين والمادة وعدم امتزاجهما، وفي هذا السياق استعان بآية من سورة الرحمن – وهي السورة التي كانت قريبة من قلبه – هي: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (63).

– يعرض بيجوفيتش خلال الخبرة العملية الأخلاقية ميل الإنسان الأقوى نحو الرذيلة والإثم من ميله للخير، وقدرته الأكبر على السقوط في الخطيئة من قدرته على التسامي في مراقي الفضيلة، ويستشهد بقول الله تعالى على لسان يوسف – عليه السلام – في قصته مع امرأة العزيز – وهو نبي مرسل(64) –: ﴿مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (65).

يظهرُ جليًّا ما كان يفكّر فيه بيجوفيتش حين استدلّ في فصله المهمّ من كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" بعنوان الثقافة والحضارة بقول الله تعالى : ﴿قَالُواْ سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ (66)

---

[62] الاسلام بين الشرق والغرب صفحة 52

[63] سورة الرحمن الآية 19

[64] ينظر الاسلام بين الشرق والغرب صفحة 98

[65] سورة يوسف الآية 53

[66] سورة الفرقان الآية 18

على الرفاهية وما يصاحبها من حالات عقلية تقلل التمسك بأي نظام قيمي وتقضي عليه، ويصف الرفاهية بأنها: الصورة البرّانية التي تؤدي إلى الشعور باليأس والخواء(67).

بيجوفيتش – المسجون والمطارد – ينظر إلى الحياة بكل إيجابية، فيقول في نفي الفلسفة العدمية أنّها: خيبة أمل لا بسبب النظام والعالم، بل لغياب الخير من العالم، ويرى أن كل شيءٍ في حياتنا يغدو تافهًا إذا متنا للأبد دون رجعة (68) قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (69).

يُفرّق بيجوفيتش من خلال فهمه للقرآن الكريم بين الروح والنفس، (فالروح التي نفخها الله في نفس آدم تحتضن نُبل الإنسان ومسؤوليته، وهي الروح التي تحدثت عنها جميع الأديان والأنبياء، ويقول: إنّ الفرق بين الروح والنفس كالفرق بين الأنماط النفسية وبين الشخصيات) (70)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (71).

في القسم الثاني من كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" بعنوان "الإسلام: الوحدة ثنائية القطب" صفحة 259 وهو فصلٌ يُعنى بالأديان السماوية وخصوصًا الإسلام، حيث يستشهد بيجوفيتش بالكثير من الآيات، وسأذكر منها لحظة تاريخية مهمة وهي ظهور عيسى – عليه السلام – وهي رسالة تدعو إلى الوعي الكامل بالقيمة الإنسانية وهي ما أطلق عليها (آية العالم). يقول

---

[67] ينظرالاسلام بين الشرق والغرب صفحة 136

[68] المصدر السابق 139

[69] سورة المؤمنون الآية 115

[70] ينظر الاسلام بين الشرق والغرب ص 167

[71] سورة السجدة الآية 9

تعالى في وصفه: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (72).

لم يغفل بيجوفيتش العِلمَ في كتبه وفكره، فقد أنشأ في كتابه عنوانًا أسماه: "دين يتجه نحو الطبيعة"، ودعا به إلى ربط التأمل بالملاحظة بشرط أن يكون ذلك بهدف العلم والإعجاب الديني وأكّد أن القرآن الكريم يتضمن موقفًا علميًّا جوهريًّا، وعدَّ ذلك أمرًا غيرَ مألوفٍ في الأديان الأخرى، وفي هذا العنوان وفي سبيل التأمل في خلق الله أورد بيجوفيتش أحد عشر موضعًا تحدث فيه عن قدرة الله في الكون إلى أن وصل إلى المشترك بينها، وهو الدعوة إلى ملاحظة قدرة الإنسان على العالم والطبيعة(73).

كتب بيجوفيتش عدة كتب، إما أدخلته السجن، وإما كتبها داخل السجن ومن الكتب الذي ادخلته السجن كتابه العظيم "الإعلان الإسلامي"، الذي كتبه في عصرٍ ارتفعت فيه أسهم الاشتراكية في العالم أجمع، وخصوصًا في بلده، دعا فيه إلى توحيد المسلمين والالتزام بالدين الإسلامي وقيمه العليا، واستشهد في الفصل الثاني من كتابه هذا بالكثير من الآيات ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ (74)، (وفي ذلك تأكيد أنّ المسلمين إذا استمسكوا بالإسلام فإنّه لا يمكن أن يستعبدهم أحد وأن هزائمهم بدأت من غزوة أحد حتى سيناء – إلى زمن كتابته – ، وفي الآية تأكيدٌ من الله تعالى أنّ ابتعاد المسلمين عن الإسلام يبعد النصر عنهم (75).

---

[72] سورة الأنبياء الآية 91

[73] الاسلام بين الشرق والغرب صفحة 289

[74] سورة الأنفال الآية 53

[75] ينظر الإعلان الإسلامي صفحة 142

وكثيراً ما استند بيجوفيتش إلى آيات من القرآن في الفصل الثاني من كتابه "الإعلان الإسلامي" تحت عنوان "النظام الإسلامي" ليبين ويبرهن نظرته نحو ما يريد من المسلمين، ومن أمثلة ذلك ما أقره القرآن من مبادئ المساواة بين المسلمين والأخوة بين المسلمين، والمِلكية، وتحريم الربا، والتوحيد، وحرية الضمير، وأنّ الغاية لا تبرر الوسيلة، وكثير من الأمثلة غيرها (76).

2. **الحديث الشريف:**

علاقة بيجوفيتش بالحديث النبوي الشريف تختلف نوعًا ما عن القرآن الكريم فاستدلالاته بالحديث الشريف لا تقارن بالقرآن الكريم؛ فهو لا يتثبت من الأحاديث، ولا يذكر مصدرها، أو لا يذكر الراوي، وهذا المنهج الذي اعتمد عليه أوضحه بيجوفيتش نصًّا، فقال: (فيما يتعلق بصحة الأحاديث، ليست مهمة الأسانيد، الأهم هو توافقها الضمني مع روح القرآن الكريم) (77) ويضرب على ذلك مثال الزهد، ويتابع قوله: (يوجد عدد كبير من الأحاديث التي تتحدث عن الزهد لا تمتلك الصحة ويجب توظيفها بغض النظر عن مصدرها لنفهم القرآن فيكفي توافقها الضمني مع القرآن) (78) وهذا بظن الباحث اعتبار ضمني لمن قال من علماء الحديث بجواز الأخذ بالحديث الشريف فيلا فضائل الأعمال .

اعتنى بيجوفيتش بالحديث الشريف كمصدر ثانٍ بعد القرآن الكريم، بدونه لا نستطيع أن نفهم القرآن الكريم ويعبر عن ذلك قوله: "إن جميع التفاسير القرآنية لا يمكن تفسيرها بدون الرجوع إلى السنة النبوية" (79)؛ أي بدون حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – يتعسّر فهم القرآن

---

[76] الإعلان الإسلامي نقل بتصرف من صفحة 114 إلى صفحة 136

[77] هروبي إلى الحرية صفحة 370

[78] هروبي إلى الحرية صفحة 370

[79] الإسلام بين الشرق والغرب صفحة 289

فهمًا صحيحًا، وأنّ فَهْمنا لحياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعرِضُ الإسلام كفلسفة عملية بخطة شاملة للحياة (80).

استشهد بيجوفيتش بالكثير من الأحاديث النبوية، أو بما في معناها في كتبه، حيث استشهد بأكثر من 40 حديثًا في مجموع كتبه، وأكثرُ ذلك كان في كتابه "الإعلان الإسلامي"؛ إذ إنه إعلان لمبادئ الإسلام.

يقول بيجوفتش "إن الأخلاق ليست في العمل المخلص" (81) ويقصد بهذه المقولة ضرورة النيّة المخلصة للأعمال ويستدل بذلك على الحديث (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)(82).

من الحالات القليلة التي يستدل بها بيجوفيتش بذكر الصحابي راوي الحديث نقله قولَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ،

---

[80] الإسلام بين الشرق والغرب صفحة 289

[81] الإسلام بين الشرق والغرب صفحة 180

[82] **صحيح البخاري** المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمةالبخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم: 1، وينظر هناك أرقام أطراف الحديث في البخاري، وينظر: المسند مسلم، كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، رقم: (1907).

وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ". (83). ويفسر ذلك أنّ هذا الحديث ضد فصل الأعمال عن الإيمان أو فصل الإنسان عن الدنيا (84)، وفي كتابه الاسلام بين الشرق والغرب يروي الحديث بقوله بما معناه فلم يورد نص الحديث كما جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وفي برهان ما كان يطلق عليه دائما الثنائيات (ثنائية القطب) في الإسلام أنّ المعادلة القرآنية تجمع بين الصلاة والزكاة ويستدل على ذلك بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما سأله أحد الصحابة عن شيء في الإسلام لا يسأل بعده أحدًا: عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ (وَفي رواية: غَيْرَكَ)، قَالَ " قُلْ آمَنْتُ بالله فاستقم (85).

يعرف الفيلسوف بيجوفيتش الإسلام بأنه دعوة لحياة مادية وروحية معًا، وهذه ثنائية ما كان يسميه الجوّاني والبرّاني، ومن هذا التعريف ينطلق بيجوفيتش إلى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ(86)، فالإنسان يولد مسلما بالفطرة ويتحول إلى دين والديه وبيئتهما.

---

[83] **أخرجه البخاري**، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان ، بَابٌ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}، رقم: (25، و392، و1399، و2946، و6924، و7284). ومسلم، المسند صحيح، كتاب الإيمان، بَاب الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ...، رقم: (20، و21، و22)، وغيرهم

[84] **الإسلام بين الشرق والغرب** صفحة 285

[85] **صحيح مسلم** المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ ، **كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم: (43)**

[86] **البخاري، الجامع الصحيح**، كتاب الجنائز، بَابٌ: إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، رقم: 1358، وينظر هناك أطراف الحديث. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، 2658

3. الفقه الإسلامي:

الكتاب المشهور لبيجوفيتش "الإسلام بين الشرق والغرب" ليس كتابًا لاهوتيًّا كما يصف ذلك، ولا كتابًا فقهيًّا كما يبدو، إنما هو كتاب فكري فلسفي، وحتى كتبه الأخرى فهي في نفس المقام، ومع ذلك لا تخلو كتب بيجوفيتش من ذكر ما يخص الفقه الإسلامي؛ فهو في نهاية المطاف مسلم مفكر وفيلسوف مثقف.

يتعامل بيجوفيتش مع العبادات التي يختص بها الدين الإسلامي من ناحية فلسفية فكرية يمكن أن تعدَّ مقاصديّة في كثير من الأحيان، ومن الأمثلة على ذلك الزكاة؛ فهي استجابة ليست لجانب واحد وهو الفقر، وإنما تتعدى ذلك إلى الشر الذي تنطوي عليه النفوس البشرية، وهذا ما يفسر وجود الفقر في المجتمعات الغنية، ويبين أن غاية الإسلام ليست القضاء على الأغنياء وإنما القضاء على الفقر، ويفسر ذلك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (87).

ومن الأمثلة على استخدام مقاصد العبادات حديثه عن الصيام؛ (فهو مظهر لروح الجماعة والشعور بالآخرين؛ إذ يجمع الإسلام بين التنسّك والسعادة ويشير إلى ذلك بقوله واصفًا هذه العبادة بـ"شغل أكثر الوسائل التعليمية طبيعة وقوة التي وضعت موضع الممارسات الإنسانية إلى يومنا هذا) (88)، شغل الصيام يكون في قصور الملوك وأكواخ الفن وعند الفيلسوف والعامل.

---

[87] سورة التوبة الآية 60

[88] الإسلام بين الشرق والغرب ص286

وفي معرض الحديث عن مقاصد العبادات ومنها الحج إلى الكعبة يتساءل هل هي معرض تجاريّ أم شعيرة دينية أم تجمّع سياسي أم كل ذلك، ويؤكد أنه شعيرة دينية يحدث فيها كل ما سبق.

في سياق الفقه الإسلامي، وفي حديث بيجوفيتش عن مصادر التشريع الإسلامي يذكر أولًا القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ثم ينتقل إلى الإجماع، ويصفه بالثنائية من حيث الصفوة النوعية – ويصفها بالأرستقراطية –، والجانب العددي – ويصفها بالديمقراطية – (89).

ومن ناحية الثنائيات يجمع بيجوفيتش بين الصلاة والوضوء، فلا صلاة من غير وضوء ويقارن ذلك مع الرهبان في النصرانية الذين يتجنبون النظافة ويعتبرون ذلك شعورًا دينيًّا، ويعدّ الوضوء والصلاة وسيلة فعالة ضد الاسترخاء والخمول، والصلاة مرتبطة لا محالة بالزمان من حيث المواقيت والمكان من حيث اتجاه القبلة (90).

4 الفكر الإسلامي:

تأثر بيجوفيتش بالفكر الإسلامي أيّما تأثر؛ فهو في الواقع مسلم محافظ يعيش جسدًا في الغرب لكن فكره إسلاميٌّ بحت، كان قارئًا نهمًا للكُتّاب الإسلاميّين من مثل أبي حامد الغزاليّ. في كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" صفحة 51 وصفحة 92 والبيروني في كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" صفحة 295 وسيد قطب، بشكل مباشر، وتدل أفكاره على تأثره بهم وبغيرهم، وكان يشير إلى ذلك في بعض الأحيان، والمتتبع لفكره يتيقّن من أنّه كان مهتمًّا بالفكر الإسلامي.

---

89 الإسلام بين الشرق والغرب ص 289

90 المصدر السابق ص 279

ينتقد بيجوفيتش من يدَّعي أن المعجزات خلقت بذاتها أو أن التعقيد الحاصل في عين وعقل الإنسان وجد في محض الصدفة، ويلخص ذلك في كلمات الغزالي: "إن جميع المعجزات طبيعية وإن الطبيعة كلها معجزات"[91].

وفي إطار آخر يعبر بيجوفيتش عن رأيه في كتاب "إحياء علوم الدين" للغزاليّ ويقول: (وبرأيي فإن هذا الغذاء حرَفَ العالم الإسلامي عن القضايا الواقعية الاجتماعية وحتى عن العلم وصنع من القرون اللاحقة إسلام القرون الوسطى) (92) لأنه لم يكن يعبر عن الإسلام كما يجب، ويعارض في ذلك جابرييلي الذي يقول: "كانت أعمال الغزالي غذاء روحيا للمسلمين خلال القرون السبعة اللاحقة" (93)، وسبب معارضته للكتاب هو ليس الكاتب وإنما هو توجه الكتاب إلى النظرة أُحادية الجانب (النظرة الروحيّة).

هناك معتقدان في الإسلام: (الله أكبر) (ولا إله إلا الله) وهما في الوقت نفسه أعظم القوى الثورية في الإسلام ويستدل بيجوفيتش على ذلك بقول سيد قطب إنّهما ثورة ضد السلطة التي تغتصب الحق الإلهي، ويعنيان نزع السلطة من الكهان وزعماء القبائل والحكام والأغنياء، ولا إله إلا الله ضد أصحاب السلطة في كل زمان ومكان (94)، ويبدو مما سبق ومن خلال الاستدلال بأقوال سيد قطب في كتاب "الإسلام والسلام العالمي" وكتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" أن بيجوفيتش كان متأثرًا به وخصوصًا في العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة الإنسانية والتكافل الاجتماعي وسياسة الحكم.

---

[91] الإسلام بين الشرق والغرب ص 92

[92] هروبي إلى الحرية ص 304

[93] هروبي إلى الحرية ص 304

[94] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 269

تتبع بيجوفيتش الفلاسفة الإسلاميين، واستفاد من مقولاتهم، واستشهد بها في بعض الأحيان، ومنهم: ابن رشد والفارابي والبيروني وإبراهيم الزركلي.

5 الفكر الفلسفي الغربي:

قرأ الفيلسوف علي عزت بيجوفيتش الفلسفة الغربية بجميع اتجاهاتها الروحية والمادية، ثم حلّلها وفككها وركبها مرة أخرى بمنظورٍ إسلامي يقوم على مبدأ الثنائيات.

أيّد بيجوفيتش بعض أفكار الفلاسفة، وانتقد بعضها الآخر، وهذا يدل على مدى اطلاعه العميق على الفلسفة من خلال المطالعة والمعايشة وتقبله للآخر وانفتاحه الفكري وعدم تعصبه وتشنجه، وكونه يعيش في الغرب فقد استطاع القراءة والنقد والتأييد بكل شفافية وبدون جلد الذات كما يفعل بعضهم، وبدون النقد اللاذع كما يفعل البعض الآخر.

ويصف نفسه أنه كان محبًّا للقراءة أكثر من الدراسة، ففي الثانوية قرأ كل الأعمال الفلسفية المهمّة وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، ومن أهم الأعمال التي تركت أثرًا وانطباعاً عنده كتاب بيرغسون "تطور البناء الإبداعي"، و"نقد العقل المجرد" لكانْت و"انحطاط الغرب" لشبنجلر (95).

يقسّم بيجوفيتش الفلاسفة الذين ناقشوا تاريخ الإنسانية إلى قسمين أو إلى خطّين: (الأول: وهو الخط الروحي الذي يبدأ من أفلاطون ويمتد حتى المفكرين المسيحيين في العصور الوسطى ثم الغزالي وديكارت وبريكلي وفيخته وماخ وبيرجسون، والثّاني: وهو الخطّ الماديّ الذي يتمثل في طاليس وهرقليطس وهوبينز وديدرو ويقول: إن هذين التيارين على طرفي نقيض، يمثل الأول منهم المذهب الإنساني ويمثل الثاني التيار التقدمي) (96).

---

[95] ينظر السيرة الذاتية أسئلة لا مفر منها ص 29

[96] الإسلام بين الشرق والغرب ص 51

واعتمد في كتبه وفكره على الفلسفة الغربية ويعود سبب ذلك كما أسلفنا إلى اهتمامه بها وقراءتها منذ صغره، وكثيرا ما استند إلى أقوال الفلاسفة إثباتًا لصحة كلامه، أو نفيًا لمبادئهم، فنراه يتحدث بطلاقة جميلة، وبمعانٍ كبيرة، وأدوات بسيطة حول الفلسفة ومريديها ومنهم نيتشه وياسبرز وكيركجارد.

بعبارة جميلة وملخصة ينتقد بيجوفيتش فلسفة كل من داروين ونيوتن قائلًا(ليس الإنسان مفصّلًا على طراز داروين ولا الكون مفصّلًا على طراز نيوتن) (97) منتقداً داروين وفلسفته لأصل الإنسان ونيوتن في نظرته للكون.

ولينتقد داروين وما تبعه من أفكار كان لا بد له من الاستعانة بمايكل أنجلو الذي كان مدعّمًا بعدد كبير من الحقائق.

أمّا كانْت، فهو من أكثر الفلاسفة تأثيرًا في فكر بيجوفيتش من خلال قراءة كتبه وبث أفكاره فيما كتَبَه، ففي معرض الحديث حول الأخلاق والالتزام يؤكد مبدأ كانْت وهو الالتزام المطلق في كتابه "أسس ميتافيزقيا الأخلاق" حيث يقول كانْت: "اعمل فقط وفقًا لمبدأ تريد أن يكون قانونا عامًّا"، وفي كتاب "نقد العقل المجرد" يقول كانتْ: "اعمل بطريقة يكون فيها المبدأ الذي أردته صالحا لأن يكون مبدأ لتشريع عام" (98) ولا يسبق الأخلاق – من وجهة نظر بيجوفيتش – إلا الدين.

في سياق دراسة اليهودية والمسيحية والإسلام وعلاقتها ببعضها يبدو بيجوفيتش متأثرًا بالفلاسفة الغربيين فينقل عن هيجل في تصنيفه للأديان أنّ الإسلام يعدّ استمرارًا لليهودية (99)، وأصل

---

[97] المصدر السابق ص 83

[98] الإسلام بين الشرق والغرب ص 227

[99] George W.F. Hegel: Early Theological Writings, trans. (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1971).

هذه الفكرة عند شبنجلر، وقريبًا منها ذهب مرْسيا إلِيادي التي وضعت النبيَّ محمدًا – صلى الله عليه وسلم – على مفترق طريق، وبهذه الرؤية يقف محمد – صلى الله عليه وسلم – على حافة سيادة المسيحية وبداية العصر العلماني الحديث، بمعنى أنه يقف في النقطة البؤرية للتوازن التاريخي (100)، ويعلق بيجوفيتش على رؤية إلِيادي تحديدًا بأنها نظرة أحادية الجانب لا يقبلها المسلمون، ونقبل منها فكرة الوسط فقط (101).

6 الكتب السماوية:

استدل بيجوفيتش على القرآن والحديث وغيرهما من المراجع الإسلامية ليبرهن على آرائه وفكره، وفي المقابل، فقد استدل أيضًا بالكتب السماوية التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى أنفسهم وأسند ما اقتبس من الكتب السماوية إلى مصادرها.

ينتصر العهد الجديد عند بيجوفيتش من خلال المثالية الحاسمة والإنسانية على العهد القديم والذي يهتم بالواقعية الصريحة والاهتمام بالواقع الخارجي (102)، وهذا يدل على الغوص العميق والعلم بجزئيات الأديان اليهودية والنصرانية وبلا شكّ الإسلام.

لا يستطيع إنسان أن يخدم سيّدين، فهو إما أن يكره أحدهما ويحب الآخر، أو يتمسك بأحدهما ويستخف بالآخر. إنك لا تستطيع أن تخدم الله وتخدم المأمون فلا يصح عند المسيحية قسم الطاقة إلى قسمين: أحدهما إلى السماء والآخر إلى الارض (103).

---

[100] Mercea Eliade: Patterns in Comparative Religion, trans. (New York: Sheed & Ward, 1958).

[101] الإسلام بين الشرق والغرب ص 267

[102] المصدر السابق ص 263

[103] إنجيل متى: 6:240

تتشابه بعض العبارات في العهد الجديد مع بعض المبادئ الاشتراكية تشابهًا ظاهريًّا، فالنتيجة الظاهرية واحدة، ولكن الباطن مختلف؛ فالدين يدعو إلى العطاء، والاشتراكية تدعو إلى الأخذ، ويستدل بيجوفيتش على ذلك من خلال عبارات من الإنجيل من مثل:

– "لا تقلق على حياتك فتقول ماذا ستأكل؟ وماذا ستشرب؟".

– "إذا أوقعتك عينك اليمنى في الزلل فاقتلعها، وإذا أوقعتك يدك اليمنى في الزلل فاقطعها".

– "كل من ينظر إلى امرأة بشهوة فكأنه قد زنى بها في قلبه" (104).

– "إنه مكتوب أني سأدمر حكمة الحكيم وسأحيل عقل الحصيف إلى عدم. أين الحكيم؟ وأين الكاتب؟ وأين المُجادِل عن هذه الدنيا؟" (105).

– "وسأله الناس قائلين: وماذا نفعل إذن؟ فأجاب قائلًا لهم: من كان له ثوبان فليعطِ واحدًا لمن لا ثوب له. ومن كان عنده لحم فليفعل بالمثل" (106).

7. **التاريخ:**

أحب بيجوفيتش التاريخ منذ نعومة أظافره ، واعتمد عليه في فكره ورأى فيه مكوّنا مهما لمنظوره المعرفي، لذلك نجده يتتبع الإنسان وتاريخه منذ العصر الاول في الحياة البدائية ومراحل تطوّره الفكري، ليؤكد أنّ التاريخ عند الماديين هو التطور المادي للحياة الإنسانية؛ لأنهم معنيون بتاريخ الأشياء أو المجتمعات لا بتاريخ الإنسان، ومن ثمّ فهو تاريخ الحضارة وليس تاريخ الثقافة(107).

---

[104] إنجيل متى 6: 31, 5: 29 و 5: 28

[105] إنجيل بولس: 1: 19

[106] إنجيل لوقا 3: 10

[107] السيرة الذاتية ص 29

في مجال الفن والتاريخ يقول بيجوفيتش: إن الفن خارج عن التاريخ فمنذ العصر الحجري حتى اليوم لم تتغير القوة التعبيرية للفن، وعلى العكس من ذلك يعدّ الفن من العصر الحجري القديم أكثر أصالة وأكثر إثارة من العصر الحديث ومن الأمثلة على ذلك سبق الشعر للنثر وسبق الغناء للحكايات والنقوش الفرعونية (108).

وفي مجال الأخلاق والتاريخ يقول بيجوفيتش: إن الأخلاق منذ القدم ومنذ أكثر من 2000 عام لها حقائق ثابتة فجميع معلمي البشرية الخير سواء كانوا أنبياء من مثل موسى وعيسى ومحمد – عليهم السلام – أو غير أنبياء من مثل كنفوشيوس وسقراط وكانْت جميعهم علَّموا البشرية الأخلاق نفسها، فالأخلاق حقائق ثابتة لا تتغير ولا تتأثر بالزمان والمكان أو الظروف الاجتماعية[109].

يربط بيجوفيتش ما بين الفن والتاريخ من حيث تاريخ الشعوب البدائية، فيمتدح الدّول الإفريقية التي كانتْ تتمتّع بكرم الضيافة وحقوق المواطنين المحليين، وفي العصر الإسلامي من بدايته إلى العصور الأموية والعباسية إلى العصر الحديث وعصور النهضة الإسلامية فيصف على سبيل المثل في كتاب "هروبي إلى الحرية" القرن الثالث عشر الميلادي حينَ بدأت الأزمة العميقة؛ فمن آسيا شنّت القبائل المنغولية هجومًا هدموا به فارس وبغداد، وفي الشّام ومصر وفلسطين خيم الخطر الإفرنجي، وهزم المسلمون في إسبانيا، ثم ظهر الأتراك على ساحة الأحداث، واستقام حكم المماليك في مصر في القرون الثالث عشر والرابع عشر، وطرد المغول من الشام والصليبيّون من فلسطين (110) وفي مواطن أخرى يستذكر بيجوفيتش بداية الإسلام من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم إلى الدولة الأموية والدولة العباسية.

---

[108] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 220

[109] الاسلام بين الشرق والغرب ص 226

[110] هروبي إلى الحرية ص 393

وفيما يتعلّق بالعصور الوسطى لأوروبا وما تبعها من أحداث الحروب الصليبية والثورات العمالية ودور الفلاسفة في المجتمع وصولاً إلى الغرب الأوروبي الحالي، ينتقد بيجوفيتش اضطهاد الدول في العصور الوسطى للفنانين وإجبارهم على التخلي عن رسوماتهم، ويقول (إنّه في الوقت نفسه الذي كانت فيه محاكم التفتيش منصوبة ويعذب فيه العلماء، بلغ السوفييت أعلى النتائج في حقل الطاقة الذرية وفي العلوم الكونية) (111).

يظهر ممّا سبق ومن خلال التأمل في المصادر التي اعتمد عليها بيجوفيتش لبيان آرائه وبث معتقداته ما يلي:

- التنوع الكبير الذي اعتمد عليه بيجوفيتش في مصادره، مثل: الإسلام، والكتب السماوية، والتاريخ، والفلسفات.
- استخدام المصدر المناسب في الموضع المناسب دون إفراط.
- اختلاف مصادر بيجوفيتش من حيث الانتماء إلى الأديان والأفكار.

[111] الإسلام بين الشرق والغرب ص 155

المبحث الثاني: خصائص المنظور المعرفي لدى بيجوفيتش

يحاول هذا المبحث أن يحدّد خصائص المعرفة التي بنى عليها بيجوفيتش فكره وفلسفته ونظرته، والتي ظهر أثرها في نتاجه الفكريّ وكتاباته.

ومن أهمّ الكتّاب الذين وصفوا خصائص المنظور المعرفي عند بيجوفيتش هو عبد الوهاب المسيري – رحمه الله – في تقديمه لكتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" حيث قال: "لهذا نجد أن بيجوفيتش لا يلجأ إلى مجرد السرد الوصفي أو التوثيق المجرد، وإنما يقدم لنا ثمرة رحلته التحليلية التفكيكية التركيبية، بأسلوب شاعري رائع، يبتعد عن الرتابة التي قد تلحق بعض الكتابات الأكاديمية" (112) وأهم هذه الخصائص.

1. **خاصية التفكيك والتركيب:**

عاش بيجوفيتش في جوٍ مفعمٍ بالأفكار الاشتراكية والرأسمالية، فأعاد قراءتها ضمن ثقافته الإسلامية الواسعة، ولم يكن يقبل بأي فكرة غربية مهما كان مصدرها دون أن يفككها ويعيد تركيبها إسلاميًّا.

من الأمثلة على استخدامه للتفكيك والتركيب مفاهيم الإنسان والأخلاق والمادة والطبيعة والحضارة والثقافة؛ فتعدّ قضية الإنسان من منظوره حجر الزاوية في جميع أفكار العالم، ولتفكيك هذه القضية لا بد للمفكر أن يضع عدة تساؤلات ويحللها ثم يعيدها بشكل واقعي، ومن تلك الأسئلة: ما هو أصل الإنسان؟ وتتناقض هنا الأفكار ما بين الدين والعلم، فالعلم ينظر إلى الإنسان كنتيجة لعملية طويلة من الأدنى إلى الأعلى، ولا يوجد في العلم تمييز واضح بين الإنسان والحيوان، بحيث يتم تحديد النظرة العلمية للإنسان ببعض الحقائق

[112] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 11

الخارجية المادية، ومنها المشي قائمًا، والتواصل المنطوق، أما الدين فيجيب عن سؤال أصل الإنسان بأنه فعل إلهي، وهو فعل مفاجئ، وبغض النظر كان الإنسان نتيجة خلق أو تطور. ولتفكيك الموضوع مرة أخرى، يطرح سؤال آخر ما هو الإنسان؟ وهل هو من العالم أم من مادة؟ فالتصور المادي يقول: الإنسان حيوان كامل والفرق بين الإنسان والحيوان هو فرق درجة وليس فرق نوع، يقول جون واتسون، أنه لا يوجد خط فاصل بين الإنسان والبهيمة (113)، وبهذا فهو ليس فرق نوع، فالإنسان كغيره من الطبيعة يخضع لقوانين حتمية، وهو عبارة عن عملية بيولوجية خارجية.

بالانتقال إلى الدين والفن يقف بيجوفيتش متعجبًا من لوحات مايكل أنجلو الجصّية، والتي تمثل تاريخ الإنسان منذ هبوطه إلى الأرض حتى يوم القيامة، العلم يقول: إن الإنسان ليس إلا حيوانًا ذكيًّا، أمّا الدين فيقول: إنّ الإنسان عبارة عن حيوان مُنِحَ شخصية ذاتية(114).

ينطلق بيجوفيتش في تفكيك هذه المقولة فيقول: (إنّ الإنسان قد تطور تدريجيًّا من حيوان إلى إنسان، أما الفنّ فإنه يرينا الإنسان بأنه قادم من المجهول، العلم يشير إلى داروين وتصوّراته النّظرية، أما الفن فيتصدره مايكل أنجلو وشخوصه الرائعة ودي لامارك)(115).

يعيد بيجوفيتش تركيب الموضوع ليؤكّد أنّ هناك فرقًا جوهريًّا بين الإنسان والحيوان؛ فالحيوانات التي تبحث وتتصارع من أجل الطعام والبقاء، وفي مقابلها الإنسان البدائي الخائف والمشوش في معتقداته أو الغارق في محرماته وأسراره، لا يمكن رده إلى مجرد اختلاف في مراحل التطور وفي تركيبه للنظرة المثالية الأصيلة، بل إنّ الإنسان قد تطور من ناحية التاريخ البشري الخارجي ولا يتحقق معنى الحياة للإنسان إلا بإنكار الحيوان الذي بداخله، ويعيد تركيب فكرة

---

[113] المجلة النفسية Psychological Review no. 20 (1913) p158

[114] ينظر الاسلام بين الشرق والغرب ص 68

[115] ينظر الاسلام بين الشرق والغرب ص 68

أن الإنسان داخل في الطبيعة ويجيب فكيف يتمرد الإنسان على الطبيعة ومما يدل على عقل الإنسان موضوع التضحية لأجل الآخرين وتقليل ملذاته الجسدية.

صحيحٌ أن الإنسان يشترك مع الحيوان في بعض الأمور، مثل الشعور بالذكاء ووسائل الاتصال وإشباع الحاجات، والعيش بمجتمع، ولكن لا يوجد شيء في عالم الحيوان يشترك فيه مع الإنسان، حتى بشكل بدائي، ومن ذلك الدين والسحر الدرامي والفن والمحرمات الأخلاقية، ومن المنطقيّ تطوُّر الحيوان إذا قورن بتطور الإنسان البدائي، الذي تحوم حوله محرمات ومعتقدات غريبة(116).

ويضيف بيجوفيتش في تفكيكه ودفاعه عن منظومة الإنسان واستقلاليته عن عالم الحيوان، أن للإنسان دلالات متخيلة تكون أحيانًا أكثر أهمية من دلالاتها الواقعية، ويضرب على ذلك أمثلة عديدة منها طقوس الصيد وسياساته عند الإنسان البدائي، وفي المقابل تبدو الأشياء لدى الحيوان على ما هي عليه.

يبدو أن بيجوفيتش كان مقاومًا من الدرجة الأولى بتفكيك الفكرة وتركيبها ليصل إلى أعلى درجات الإقناع لأفكاره. يقول أيضاً إن الحيوان يعدّ صائدًا ممتازا، ومثله الإنسان البدائي كان صائدًا ممتازًا ومخترعًا لا يملّ، صانعًا للعبادات والأساطير والرقصات والأوثان.

من الفروق الجوهريّة بين الإنسان والحيوان، أنّ الحيوان يكون خطيرًا عندما يكون جائعاً، أما الإنسان فتزداد خطورته عندما يشبع، وفي الرد على أفكار داروين يستنتج أنه قد ظهر شذوذ في تطور الإنسان أو أن التطور انتكس وتراجع إلى الوراء.

فيما يلي فقرة موجزة تتحدّث عن الدفاع عن تطور الإنسان أوردها بيجوفيتش في كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب". يقول:(إن وجود أي نوع من العبادات أو المحرمات سوف يبدد الشك،

---

[116] الاسلام بين الشرق والغرب ص 72

فقد انتظر الحيوان لكي يتحول إلى إنسان حتى نقطة معينة من الزمن عندما بدأ يُصلي ومهما تكن قيمة هذه الوجهة من النظر، فإن الفرق الحاسم بين الإنسان والحيوان ليس شيئًا جسميًا ولا عقليًا، إنه فوق كل شيء أمر روحي يكشف عن نفسه في وجود ضمير ديني أو أخلاقي أو فنيّ، ومن ثمّ فإنه لا يصح التسليم بأن ظهور الإنسان حدث في الزمن الذي بدأ يسير قائمًا، أو عندما تطورت يداه أو لغته أو ذكاؤه كما يقرر العلم، ولكن ارتبط ظهور الإنسان بظهور أول ديانة فيها محرمات) (117)، فمن السخرية عدم اعتبار الإنسان البدائي والذي مضى عليه خمسة عشر ألف سنة كالإنسان الحقيقي، إن هذه الفروقات ليس في مراحل التطور وإنما هي في الجوهر" (118).

2. **خاصية النقد:**

انتقدَ بيجوفيتش في كتبه أي فكرة لا توافق مبادئه وثقافته أو الواقع المحيط به، ومن أهم الأمور التي كان ينتقدها الحضارة الغربية، والعصور الوسطى، والإلحاد، والمادة.

انتقد بيجوفيتش الحضارة الغربية في مواطن وامتدحها في أخرى، ومن نقده في ذلك يقول واصفًا الحضارة الغربية في كتابه "الإعلان الإسلامي": (إنّ الأوروبي يعتقد أنه بإمكانه تنظيم المجتمع بقوة القانون وأصل هذه الفكرة بدأت منذ أفلاطون، وتشير كثرة القوانين والتعقيدات التشريعية إلى وجود شيء فاسد في المجتمع، فبينما يتجاوز الفساد حدوده ويصبح القانون عقيمًا، فإما أن يسقط في يد فئة فاسدة، أو يصبح خاضعًا للتحايل الظاهر)، ويمثل على ذلك بعدم قدرة القانون الأمريكي وقوانين الدول الإسكندنافية بكل قوتها وأدواتها على تحريم الخمر، وتخليها عن هذا بعد المحاولات العديدة (119).

---

[117] الإسلام بين الشرق والغرب ص 76

[118] الإسلام بين الشرق والغرب ص 74

[119] ينظرالإعلان الإسلامي ص 109-110

من الأمور التي انتقد بها بيجوفيتش الحضارة الغربية في كتابه "هروبي إلى الحرية" الحرية الجنسية وقلة زيارة المعابد والتعامل مع المرأة والأسرة وحريته بتوجيه حياته ومصيره (يتوسّع الفصل الثالث في بحث هذه المسائل).

وفي كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" ينتقد بيجوفيتش في الحضارة الغربية كثرة الجرائم والقمار والانتحار والإباحية وانتشار الخمور والغزو الحضاري للمدينة والريف وغيرها الكثير(120) (يتحدّث الفصل الثالث عن هذه القضايا باستفاضة).

3. خاصية التجديد:

يعتبر بيجوفيتش من أعلام التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ولذلك يمكن أن يعد من مجددي القرن العشرين، فعلى سبيل المثال كتاب "الإعلان الإسلامي" الذي كان سببا لدخوله السجن من الكتب ذات الرؤية التجديدية لما حصل بعد عام 1919.

تناول في هذا الكتاب والذي يعد معلمًا من معالم التجديد في الفكر الإسلامي أسباب تخلف الشعوب المسلمة، والشكل القانوني الإسلامي، أو ما أسماه بالنظام الإسلامي وكيفية التعامل مع الدين والقانون وجميع الأمور التي تخص الفكر المسلم، من مساواة وأخوة بين الناس، وتناول فيه التربية والتعليم والضمير والمرأة والأسرة والعلاقة بين المجتمعات، ثم تحدث عن المشكلات الراهنة للنظام الإسلامي ووضع حلولاً لها (121).

وفي كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" استعرض بيجوفيتش رؤيته التجديدية في الفلسفة، وفي السياسة، وفي الأخلاق.

---

[120] الاسلام بين الشرق والغرب من ص 126 الى صفحة 135

[121] الإعلان الإسلامي الفصل الثاني من ص 105 الى صفحة 136

الآراء التجديدية في الأخلاق: من القضايا المحوريّة في مجال الرؤية التجديدية هي القضايا الأخلاقية، وتحديداً مرجعية الأخلاق، وغاية الأخلاق:

مجال مرجعية الأخلاق: يرى بيجوفيتش أنه لا يمكن القول إن الأخلاق هي نتاج العقل، فالعقل يستطيع أن يختبر العلاقات بين الأشياء ويحددها، ولكنه لا يستطيع أن يصدر حكمًا قيميًّا عندما يكون هناك استحسان أو استهجان أخلاقي (122).

ومهما كان التقدم العلمي واضحًا فلا يمكن أن يعلم الناس كيف يحيون ولا يستطيع أن يقدم لنا معايير قيمية، لأن هذه القيم تبقى مجهولة حتى يأتي الدين، فالدين هو مدخل إلى عالم آخر متفوق على هذا العالم (123).

يذكر بيجوفيتش عبارة دقيقة وملهمة تدل على رؤيته العميقة في مرجعية الأخلاق، وهي: (يوجد ملحدون على أخلاق، ولكن لا يوجد إلحاد أخلاقي) (124) وسبب ذلك أن أخلاق اللاديني ترجع في مصدرها إلى الدين، من الماضي كان ثم اختفى لكنه ترك بصماته قوية على الأشياء المحيطة لأن سلوكنا ليس بالضرورة دائما أن يكون من اختيارنا الواعي، وإنما على الأرجح نتيجة التنشئة والمواقف التي عرفها في مرحلة الطفولة أكثر من المعتقدات الفلسفية التي جاءت متأخرة في مرحلة من مراحل الحياة، ولا يوجد حالة في التاريخ تعرفنا أن هناك مجتمعا لا دينيًّا خالصًا ولا دولًا ربت أجيالًا على نبذ الدين أو كرهه يقول بيجوفيتش في هذا: "وإنني لأجرؤ على الجزم بأن السلوكيات والقوانين والعلاقات الإنسانية لأي مجتمع نشأ فيه أعضاؤه جميعًا على جهل مطبقا بالدين ستكون مختلفة اختلافا جذريا عن أي شيء

---

[122] ينظر المصدر السابق ص 184

[123] ينظر المصدر السابق ص 188

[124] المصدر السابق ص 205

عرفناه أو صادفناه اليوم سواء كان ذلك في المجتمعات المتدينة أو التي تعيش تحت أفكار إلحادية"(125).

يرى بيجوفيتش أن الأخلاق باعتبارها مبادئ لا تبنى إلا على الدين، أما الأخلاق كممارسة أو سلوك فإنها لا تعتمد مباشرة على الدين ولا بد للدين والأخلاق أن يستندا إلى بعضهما. (فالمحرمات على سبيل المثال دينية في طبيعتها وأصلها، وهي دائما مبدؤها تقييد أو تحريم يناقض الغريزة الحيوانية في طبيعة الإنسان ولا توجد محرمات بغير معنى) (126).

يتوصل بيجوفيتش إلى أن الأخلاق بوصفها مبدأ لا توجد بلا دين، بينما الأخلاق العملية يمكن لها أن توجد في غياب الدين، وسببها القصور الذاتي بالغ الوهم والنتيجة الثانية أنه لا يمكن بناء نظام أخلاقي على الإلحاد، لأنه يبطل النظام الاجتماعي ولا يستطيع أن يبني مجتمعا محافظا على الأشكال القائمة للأخلاق، ولا يملك الوسيلة لحماية المبادئ الأخلاقية، فالملحد يقول إذا كنت سأحيا اليوم فقط وسأموت غدا وينساني العالم فلماذا لا أعيش كما أريد دون قيد أو التزام؟

مجال غاية الأخلاق (نتائج الأخلاق):

من وجهة نظر بيجوفيتش حول الأخلاق النفعية أنها تتناقض مع مفهوم الإنسان المتحضر بقدر ما تتناقض مع مفهوم الإنسان البدائي الذي اخترع منظومة كاملة من المحرمات والالتزامات، والتي لا تتسم بأي صفة نفعية، والأخلاق ليست مربحة بمعنى الكلمة ويمثل على ذلك في الشعار السائد (النساء والأطفال أولًا) ويتساءل هل هو مفيد من الناحية الاجتماعية؟ وهل من المفيد أن تكون عادلًا أو أن تكون صادقًا في ذلك؟

---

[125] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 193

[126] المصدر السابق ص 193

يرى بيجوفيتش أن حماية العجزة أو المعوقين أو المرضى الذين لا أمل في شفائهم لا يمكن أن تكون في السعي وراء الفائدة، ولا يمكن أن تخضع لمعايير المنفعة، ويعدّ الاعتقاد المتفائل بوجود اتساق بين المنفعة من جهة وبين الصدق والأمانة من جهة أخرى ضارًّا وله أثر مدمر على نفوس الذين يشاهدون عكس ذلك على الدوام، وبالتالي فإنّ الإنسان المستقيم الذي يُقدِم على التضحية، إذا واجه الإغراءات يثبت على إخلاصه ويقول في ذلك: لو كانت الفضيلة مربحة حقا لتسارع إلى اقتحامها الانتهازيون ليكونوا نماذج للفضيلة (127).

ظهر في الكتابات الإنجليزية ما يسمى بأخلاق النتائج؛ بمعنى أن الشيء يكون أخلاقيًّا أو لاأخلاقيٍّ بحسب ما يترتب عليه من نتائج حسنة أو سيئة، ويرد بيجوفيتش على ذلك بأن الأخلاق الأصلية لا تعبأ في الواقع بالنتائج على الإطلاق وينصب اهتمامها على النية فحسب أما النتائج والمعقبات فإنها بيد الله تعالى (128).

في رسالة الدكتوراة الموسومة بـ"**علي عزت بيجوفيتش: جهوده الفكرية والإصلاحية – دراسة تحليلية**" يلقي الباحث الضوء على نشأة بيجوفيتش وثقافته، وبناءً عليها أطَّر الآراء التجديدية في الفلسفة والآراء التجديدية في الأخلاق والآراء التجديدية في السياسة الإسلامية حيث نظم جميع أعمال بيجوفيتش داخل الإطارات السابقة وهو جهد مهمّ، ولكن ليس جميع ما ورد في تجديد ما سبق يُحسَبُ تجديدًا، فمنها ممارسات إسلامية وأفكار موجودة، لكن بيجوفيتش أعاد صياغتها بطريقة أخرى من وجهة نظر إسلامية (129) واذكر منها نقلاً عن الكاتب ما يلي:

---

[127] ينظر المصدر السابق ص 198

[128] ينظر المصدر السابق ص 204

[129] صادق، ثاقب **رسالة دكتوراة بعنوان على عزت بيجوفيتش وجهوده الفكرية والإصلاحية: دراسة تحليلية**، جامعة العلوم الإسلامية العالمية العام 2018

الآراء التجديدية في السياسة الإسلامية: أما في التجديد السياسي فإن بيجوفيتش كونه صاحب فكر سياسي تنظيري وعملي فقد رصد الباحث الرؤى السياسية لدى بيجوفيتش، ووضعها في إطار واحد، وتناول فيها الإسلام والسياسة، وفقه الضرورة في غربة الإنسان.

الآراء التجديدية في الفلسفة: وهو حديثٌ حول ربط الفلسفة بالإنسان البدائي وإرجاع أي قضية فلسفية إلى أصل الإنسان يقول الباحث في الفصل الثاني وهو تجديد الفكر الفلسفي عند بيجوفيتش: "حيث أعمل نظره العقلي في التوصل لعلل الفلسفة مرجعا بدايتها عند الإنسان البدائي، حيث انتبه إلى اللزوم بين رسوم الإنسان البدائي على جدران الكهوف وبين الجانب الفلسفي الكامن حتى عند هذا الإنسان، وكذلك انتباهه إلى التلازم بين أفكار المحظورات وبين الحس الفلسفي عند هذا الإنسان" (130) ولأن بيجوفيتش له علاقة وطيدة بالفلسفة فإنه عدَّ رسم الحيوان عند الإنسان البدائي الأول من كوامن الإنسان التي تدل على الفلسفة بطريقة أو بأخرى، ومجمل الحديث حول التجديد الفلسفي عند الباحث يعود إلى إيجاد الأصول الفلسفية عند الإنسان، ولأن بيجوفيتش له اهتمامات فلسفية وقراءات وأفكار في ذلك فإنه يبلور الأفكار من خلال رؤيته الإسلامية فيصوغ ثنائيات الفن والدين، ويتحدث عن العدمية ويصفها بأنها احتجاج على غياب الرب.

4. خاصية الواقعية:

كان بيجوفيتش واقعيًّا وليس مفكراً مثالياً حالماً، وكان يضرب أمثلة واقعية، وينتقد من تعدّ أفكاره بعيدة عن الواقع ولا تؤدي إلى فائدة، وقد سلّط الضوء على التجربة الباكستانية باسمِ الجمهورية الإسلامية، فمع اعتزازه بالفكرة، إلا أنّه رأى إخفاقات وقعت فيها، ومنها الافتقار إلى وحدة البنية فلا يوجد أصلًا أفكار توحد مكوّناتها، ولم تكن سوى تحالف أحزاب سياسية،

---

[130] المصدر السابق ص 40

وأيضًا الجمود في تطبيق المعايير الإسلامية على الواقع الباكستاني، وذلك الانقسام في قضايا جانبية، ويخلُص بعد ذلك إلى ضرورة القيادة من قبل قادة حكماء مخلصين، بحيث يقوم ذلك على أساسيات الإسلام.

وفي كلامه حول الجامعة الإسلامية والقومية يبين بيجوفيتش رأيه في ضرورة توحيد المسلمين، وينتقد من يدعون الواقعية بأن كلامهم مصدره من الجبن والخضوع لسطوة القوي ويصف واقعيتهم بأن يبقى القوي قويًّا والعبد عبدًا (131).

ويبين أن للواقعية نوعين: 0واقعيتنا نحن، وهي مطالب المسلمين بالوحدة بشتى أشكالها، وهدفنا من ذلك حل مشكلاتنا المشتركة وبناء مؤسساتنا الاقتصادية والثقافية والسياسية، والتنسيق والعمل معًا، والواقعية الثانية واقعية الضعفاء، وفكرتهم غير عملية؛ لأنهم يقدسون الأمر الواقع، وهذا منافٍ للعقل، ولبيان ذلك ينتقد بيجوفيتش تشتت الدول العربية إلى ثلاثة عشرة دولة معارضة لبعضها في القضايا المهمة والواقع الصحيح هو وحدة المسلمين) (132).

يبلور بيجوفيتش حقيقة واقعية الإسلام فيصف غير الإسلام من الدين المجرد (المسيحية) أو الأديان الأخرى على أنها غير واقعية فيقول في ذلك: "إن توجُّه الإسلام نحو العالم الخارجي يمنحه واقعية خاصة في فهمه للإنسان، فتقبُّل الطبيعية بصفة عامة يتضمن أيضًا تقبل الطبيعة الإنسانية، لقد رفضت جميع الأديان الأخرى هذا العالم، بما في ذلك جسم الإنسان، والإسلام هو تحقيق الهدف المستحيل في نظر المسيحية ألا وهو الاعتراف بواقعية العالم وفي الوقت الذي يؤكد فيه الإسلام على عظمة الإنسان وكرامته ويُبدي واقعية شديدة، تكاد تلغي البطولة عندما يتعامل مع الإنسان كفرد. فالإسلام لا يتعسف بتنمية خصال لا جذور لها في

---

[131] ينظر الإعلان الإسلامي ص 147-150

[132] الإعلان الإسلامي ص 149

طبيعة الإنسان، إنه لا يحاول أن يجعل منا ملائكة، لأن هذا مستحيل، بل يميل إلى جعل الإنسان إنسانًا، في الإسلام قدْرٌ من الزهد، إن هذا الموقف الإسلامي بالذات هو الذي سبب سوء فهم (العقل الغربي) لهذا الدين، وهو سوء فهم لا يزال مستمرًا إلى اليوم" (133).

5. خاصية المقارنة:

عقد بيجوفيتش الكثير من المقارنات في كتاباته من خلال العصور التاريخية أو المعتقدات والأفكار، ومنها ما بين الإنسان الحيوان – كما أسلفت سابقًا في التفكيك والتركيب – وأيضا المقارنة بين الثقافة والحضارة.

من المقارنات الأساسيّة التي كتب عنها بيجوفيتش في كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" موضوع المسجد والكنيسة؛ حيث يقول إن المسجد مكان للناس، والكنيسة معبد للرب، والمسجد يسود فيه جو من العقلانية، بينما الكنيسة يسود بها جو من الصوفية، والمسجد بؤرة نشاط دائم وقريب من السوق بين المناطق المعمورة بالسكان، أما الكنيسة فهي أقل انسجاما بين الناس، ويميل تصميمها إلى الظلام والصمت والارتفاع في البناء، والمسجد يناقش الناس فيه هموهم بعد انتهاء الصلاة بينما الكنيسة يتركون خارجها كل اهتماماتهم في الدنيا كأنما يدخلون إلى عالم آخر (134).

وأيضا يقارن بين البابا في المسيحية وبين الإجماع في الفقه الإسلامي، ويقارن بين توجه العهد الجديد إلى الإنسان، بينما يتوجّه القرآن إلى الناس وفي المقابل يشير إلى ما يميز كلًّا من العهد الجديد والقرآن عن العهد القديم بإعلانهما مبدأ الجماعة الروحية، ويتميز الإسلام

---

[133] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 297

[134] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 271

عنهما بأنه يعترف بالأمم . يقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (135).

ومهما تميز العهد القديم أو العهد الجديد، يظلّ الإسلام دائما متساميًا عليهما؛ فالعهد القديم يكرس فكرة الأذى بالأذى بينما العهد الجديد الأذى بالعفو ويدخل الإسلام فيما بينهم ويركب الجزءَيْنِ فيقول تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (136). ولم يعقد بيجوفيتش هذه المقارنة من بنات أفكاره وإنما استوحاها من كلام رب العالمين: يقول الله تعالى عن ذكر أهل التوراة قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (137)، وفي الحديث عن الإسلام قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (138)؛ فالإسلام لا يحرم على الإنسان فاكهة الأرض ولا يزيد في التحريم إنما يجعل الأرض طهورا فإذا لم يجد الإنسان الماء يتيمم (139).

يقارن بيجوفيتش في كتابه "هروبي إلى الحرية" بين رؤية الإسلام ورؤية الغربيين للأخلاق، ثم يطلق حكمه فيقول إن الأوروبيين يتغنون بجمال الرذيلة ويعتبرونها من الحضارة بينما يقول القرآن: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (140)، فالرذيلة من فعل الشيطان ولا يمكن أن يتم التغني بها.

---

135 سورة الحجرات الآية 13

136 سورة الشورى الآية 40

137 سورة المائدة الآية 45

138 سورة المائدة الآية 87

139 الإسلام بين الشرق والغرب ص 278

140 سورة الانفال الآية 48

6. خاصية الحيادية:

ينظر بيجوفيتش إلى الحضارة الغربية بحيادية وذلك من خلال العيش في المجتمع الغربي فينتقد هذا المجتمع في مواطن النقد بنظره، ويمدحه في مواطن يراها أهلًا للمدح.

فعلى سبيل المثال في كتابه "هروبي إلى الحرية" يرى أن أهم مصادر قدرة الغرب هي وضوح الأفكار وصرامتها ومستوى التفكير التي أنشأته الحضارة الغربية بناء على ذلك (141).

كما يوضح أن أساس القوة الغربية، ليس بسبب الأسلحة أو الاقتصاد القوي، فهذه الأشياء هي مظاهر خارجية، إنما يعود ذلك إلى استخدام أداة الملاحظة والمنهج التجريبي وهو منهج في الأساس مقتبس من القرآن الكريم ومن المسلمين أصلا (142).

يرى بيجوفيتش أنه من الخطأ الفادح والظلم أن نستنتج بأن الظواهر المرضية وهي هدم الأسرة والغزو الحضاري والإباحية وانتشار الخمور الخاصة بالحضارة الغربية ناتجة عنها، إنما يعود السبب برأيه إلى طبيعة الحضارة، وكل ما قيل عن ألمانيا والسويد والولايات المتحدة إنما سببه هذه الطبيعة ومن سمات هذه الحضارة أنها لا تربط الإنسان بأي نظام قيمي ولا تمنحه معنى لحياته وتفقده الاختيار، ومن ثمّ يشعر بالعجز عن وقف أي إنتاج لوسائل الدمار الشامل (143)

يقف بيجوفيتش موقفًا حياديًّا بين المسلمين وغيرهم فكما ينتقد الحضارة الغربية أو الأديان السماوية الأخرى، ينتقد أيضًا بعض الرؤى عند مفكرين مسلمين أو بعض كتاباتهم مثلما أُشيرَ سابقًا من نقده لكتاب إحياء علوم الدين عند الغزالي، أو لبعض التطبيقات مثل الجمهورية الإسلامية في باكستان، أو الجامعة الإسلامية.

---

[141] ينظر هروبي إلى الحرية ص 184

[142] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 239

[143] الإسلام بين الشرق والغرب ص 133-134

7. خاصية الاستعانة بالإحصائيات العلمية:

اعتمد بيجوفيتش في فكره وكتاباته على الإحصاءات والدراسات، والهدف من ذلك تعزيز أفكاره بما هو واقعي وملموس مستعينًا بتجارب الآخرين، والمتأمل في كتب بيجوفيتش يخلص إلى أنه ليس فيها فصل إلا استدل فيه بالإحصاءات والدراسات.

من الدراسات التي أوردها بيجوفيتش في كتابه (حول الناحية السلبية لمشاهدة التلفاز دراسة أجريت في عام 1971 أوضحت أن الإنجليزي العادي يقضي ما بين 16 إلى 18 ساعة في الأسبوع يشاهد التلفاز، وهذا يدل على أنه يحتل مكانة تهدد الأدب بشكل مطرد، وورد أن واحدًا من ثلاثة أشخاص لم يقرأ كتابًا واحدًا في حياته، وفي الدراسة نفسها تبيّنَ أن 87% من السكان يعتمدون التلفاز كوسيلة ثقافية) (144).

في سياق نقد بيجوفيتش للحضارة، يرى أنها لا تقضي على الأسرة من الناحية النظرية فحسب، وإنما في الناحية الواقعية؛ (فقد كان الرجل أول من هجر الأسرة، ثم تبعته المرأة، وأخيرا الأطفال، ففي عام 1960 تساوى عدد الزيجات المنعقدة في كاليفورنيا مع عدد حالات الطلاق، وفي أمريكا كانت نسبة حالات الطلاق مقارنة مع الزواج في تصاعد مفاجئ، ففي عام 1960 كانت النسبة 26% وفي عام 1975 ارتفعت إلى 48%، وفي الاتحاد السوفيتي سنة 1960 كانت حالات الطلاق 10% وفي عام 1973 ارتفعت إلى 27% وهذا كان مهددا للأسرة وداعيا إلى حالات الدمار الأسري الشامل) (145).

وعلى مستوى الحضارة يتساءل بيجوفيتش كيف لحالات الانتحار وحالات الأمراض النفسية أن تتناسب طرديا مع مستوى الحضارة، ففي الولايات المتحدة مثلا هناك أربعة أشخاص من

---

[144] الإسلام بين الشرق والغرب ص 118

[145] المصدر السابق ص 250

كل ألف شخص نزلاء في مستشفيات الأمراض العقلية، ووفقًا لتقرير رسمي لسلطات الصحة العامة الأمريكية عام 1978 أن واحدًا من كل خمسة أمريكيين يعاني مرضًا عصبيًّا، أو كان على حافته، أما السويد فهي تنفرد بأرقام قياسية في الانتحار وإدمان المخدرات والأمراض العقلية وقد سجلت السويد عام 1967عدد 1702 حادثة انتحار بزيادة 30% عن العام 1960 (146)، وفي إحصائية للحرب العراقية الإيرانية حتى العام 1986 بلغ عدد القتلى 8000 و170,000 جريح و60,000 أسير وعلى الجانب الآخر من الإيرانيين 230,000 قتيل و40,000 جريح 20,000 ألف من أسير، وتشير المعطيات الحربية أن العراق خسر 176 مليار دولار في المقابل إيران خسرت 240 مليار دولار، بينما كلفت الحرب الفيتنامية 356 مليار دولار (147).

يتساءل بيجوفيتش حول ما يقال عن الدول الغنية من مثل أمريكا وغيرها، والتي تشكل ثلث العالم، وتنفق 15 بليون دولار، وتعدّ هذه البلاد في مستوى معيشتها أعلى خمس مرات مما كانت عليه في عام 1800، وستكون أفضل بخمس مرات خلال ال50 سنة القادمة، ويجيب من خلال الإحصاءات أن الولايات المتحدة وهي أغنى دول العالم وقع بها عام 1965 خمسة ملايين جريمة بزيادة أسرع 14% مقابل العدد السكاني، وتحدث جريمة كل 12 ثانية، ويستذكر إحدى استطلاعات الرأي التي أقيمت في فرنسا وضع الفرنسيون الخوف من العنف على رأس قائمتهم في مشاكلهم اليومية.

---

[146] المصدر السابق ص 134

[147] ينظر هروبي إلى الحرية ص 388

8. خاصية التكاملية:

إنّ المتتبّع لفكر العلماء السابقين ينجد أنهم موسوعيّون في علومهم، يكتبون في كلّ العلوم، وهذا كان له أثر ملموس على العلوم في تلك الفترة من الزمن، وفي عصرنا هذا كثر ما يسمى بالتخصص في العلوم، فلا تكاد تجد الموسوعي، وعلى كل حال لكلا الناحييتين إيجابيات وسلبيات؛ فابن رشد كان طبيبًا فيلسوفًا فقيهًا لغويًا وقاضيًا، والغزالي كان مربيًا أصوليًا لغويًا فقيهًا فيلسوفًا، والعزُّ بن عبد السلام كان عالمًا بالفقه واللغة والمقاصد والأصول وفصول السياسة والحكم، وابن حزم وابن تيمية وابن خلدون والسيوطي وغيرهم الكثير من الأعلام الذين شاركوا بكتابة وتأليف الكثير من مجالات المعرفة وأنواع الفنون والثقافة، ذلك لأنهم نظروا إلى العلوم الإنسانية على أنها ضرورة بها تتم العلوم الدينية.

من المفكرين الموسوعيين الذين لم يعرفهم العالم الإسلامي حق المعرفة الفيلسوف علي عزت بيجوفيتش؛ فقد كان صاحب ثقافته واسعة استطاع أن يوصل فكره لمن يقرأ كتبه، كان فيلسوفًا متابعًا للفكر والفلسفة والحضارة الغربية، إلى جانب اطِّلاعه الواسع على العلوم الدينية في الأديان الكتابية الثلاثة وبخاصة الإسلام.

يقول بيجوفيتش واصفا تكاملية الإسلام: (يوجد للإسلام مصدران أساسيان: هما القرآن والسنة النبوية يمثلان معًا الإلهام والخبرة، الخلود والزمن، التفكير والممارسة، الفكرة والحياة. والإسلام طريقة حياة أكثر منه طريقة تفكير) (148) وبالتالي لا يحتوي القرآن على حقائق علمية جاهزة، ولكنه يتضمن موقفًا علميًا جوهريًا.

يتساءل بيجوفيتش في بداية القسم الثاني من كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" هل يستطيع الإنسان التغلب على هذا التناقض: إما السماء وإما الأرض، أم أن الإنسان محكوم عليه أن

[148] الإسلام بين الشرق والغرب ص 290

يظل مشدودًا إلى الأبد بين الاثنين؟ هل هناك وسيلة ما يمكن بواسطتها للعلم أن يخدم الدين والصحة والتقوى والتقدم والإنسانية؟ هل يمكن لطوبيا مملكة الأرض أن يسكنها أناس بدلا من أفراد مجهولي الهوية بلا وجوه، وأن تتمتع بملامح "مملكة الله" على الأرض؟ ويقول إن القسم الثاني من هذا الكتاب مكرّس لهذا السؤال. والجواب: نعم، في الإسلام. فالإسلام ليس مجرد دين أو طريقة حياة فقط، وإنما هو بصفة أساسية مبدأ تنظيم الكون. لقد وُجد الإسلام قبل الإنسان، وهو كما قرر القرآن بوضوح المبدأ الذي خُلق الإنسان بمقتضاه ومن ثم نجد انسجامًا فطريًا بين الإنسان والإسلام، أو كما يسميها هذا الكتاب تطابق الإنسان مع الإسلام (149). ومن التكامل عند بيجوفيتش أنه استطاع أن يهضم كل المعارف من الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية والعلوم وينتج هذا الموروث من كتبه.

7 خاصية العمق الجمالي:

تعدّ كتب بيجوفيتش من الكتب العميقة في الفكر والأسلوب العالي الذي لا يعتمد به إلا ما ندر على أسس الرتابة العلمية، والتي ظهر منها فقط مشكلة البحث فيقول في مقدمة كتابه: (يتميز العالم الحديث بصدام أيديولوجي نحن جميعًا متورطون فيه، سواء مساهمين أم ضحايا، فما هو موقف الإسلام من هذا الصدام الهائل؟ وهل للإسلام دور في تشكيل هذا العالم الحاضر؟) (150)، تمتاز كتب بيجوفيتش بالأسلوب السهل الممتنع؛ فهو أسلوب سهل تمكن قراءته بِيُسْر، وفي الوقت ذاته يتطلّب قراءته كلمة كلمة لفهم المراد ممّا كتبه. يقول المترجم في ذلك: "ليس كتابًا بسيطًا يمكن للقارئ أن يتناوله مسترخيًا أو يقتحمه من أي موضع فيقرأ صفحة هنا وصفحة هناك ثم يظن أنه قد فهم شيئًا. لا، إنه موجه لجمهور من خاصة القراء

[149] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 61

[150] الإسلام بين الشرق والغرب ص 49

يتمتعون بخلفية ثقافية عريضة وعميقة، ولهم قدم راسخة في تذوق اللغة والأدب. في عقول هؤلاء يمكن أن تتفاعل أفكار علي عزت وأن تثمر" (151).

يقول عبد الوهاب المسيري: "لهذا نجد أن بيجوفيتش لا يلجأ إلى مجرد السرد الوصفي أو التوثيق المجرد، وإنما يقدم لنا ثمرة رحلته التحليلية التفكيكية التركيبية، بأسلوب شاعري رائع، يبتعد عن الرتابة التي قد تلحق بعض الكتابات الأكاديمية، بل كان ينتقل من نقطة إلى أخرى ويتعامل مع كل نقطة وكأنها مستقلة عن غيرها تماما، بينما هي في واقع الأمر مجرد تبدٍّ آخر لنموذجه التحليلي الذي ينطلق من ثنائية الطبيعة/المادة، في مقابل الإنسان/الإنسان أو الإنسان/الرباني" (152).

يقول د. عبد الكريم بولحدو في وصف أسلوب بيجوفيتش: "وقد استرسل بيجوفيتش في استنباط صور الثنائية في النصوص والإسلام من خلال كشف معدلاتها الدالة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأمكنه فهمه الحصيف من استيحاء هذه المعادلة في عبادة الزكاة والصوم والنطق بالشهادتين" (153).

ويقول محمد يوسف عدس في مقدمة الكتاب حول جمال أسلوب بيجوفيتش في الكتاب: "أما أسلوب المؤلف وعباراته فتتميزان بجمال أخاذ، كل ذلك كان بالنسبة لي مصدر إثارة ومتعة وتشويق، كما كان مصدر معاناة، وكثيرًا ما تكون المعاناة مدخلًا ضروريًا لعمق الفهم، ولقد أدركت منذ البداية أن كتابًا بهذا المستوى يحتاج إلى ترجمة تتناسب مع قدره، ومع قوة مؤلفه الفكرية وجمال أسلوبه" (154).

---

[151] مقدمة المترجم د. محمد يوسف عدس ص 37

[152] مقدمة الإسلام بين الشرق والغرب ص 11

[153] الإدريسي، عبد العزيز **الأخلاق وأزمة الحداثة عند علي عزت بيجوفيتش بعيون مغربية**، ص 80

[154] مقدمة المترجم ص 38

وأذكر هنا مثالًا عندما مثل بيجوفيتش لتقريب المعنى للقارئ ووصف التحام المسجد والمدرسة وهو قرار صادر عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ببناء المدارس قرب المساجد وتكرر ذلك في عصر هارون الرشيد وعبر بلفظ "المسجدرسة" وهو لفظ عربي لا يمكن ترجمته إلى اللغات الأوروبية ووصفه ببناء يجمع بين المسجد والمدرسة معًا وكثيرًا ما استخدم بيجوفيتش هذا الأسلوب وهدفه من ذلك تسهيل وصول الفكرة للقارئ من خلال دمج المصطلحات أو الأفكار.

المبحث الثالث: أسس المنظور المعرفي عند بيجوفيتش:

بيجوفيتش واسع المعرفة، متنوع الأفكار، مر بكثير من التجارب من النازية إلى الاشتراكية إلى المعتقلات ثم الحرب والرئاسة وما تبعها، وهذا بجملته كفيل بتنوع الأسس المعرفية التي بنى عليها جهوده العلمية والفكرية، فمن خلال قراءة كتب بيجوفيتش والاطلاع عليها بالإضافة إلى ما كُتب عنه فإنه يمكن تقسيم أسس المنظور المعرفي لديه إلى قسمين: الأول: الثقافة الإسلامية، وهي ما أطلَقَ عليها وجهة النظر الإسلامية للعالم، والثاني: الثقافة الغربية، وتتضمن ما أطلَقَ عليه النظرة المادية والنظرة الدينية.

ولأن بيجوفيتش لا يرى أن للحضارة مفهومًا إيجابيا فإن هذا البحثَ يسمّيها ثقافةً انسجامًا مع مصطلحه. يقول بيجوفيتش في مقدمة كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب": هناك فقط ثلاث وجهات من النظر متكاملة عن العالم، هي: النظرة الدينية والنظرة المادية والنظرة الإسلامية هذه الوجهات الثلاث من النظر تعكس ثلاثة إمكانات مبدئية، هي: الضمير، والطبيعة، والإنسان. تتمثل كل منها على التوالي في المسيحية والمادية والإسلام، وسنجد أن جميع الأيديولوجيات والفلسفات والتعاليم العقائدية من أقدم العصور إلى اليوم، في التحليل النهائي، يمكن إرجاعها إلى واحدة من هذه النظرات الثلاث العالمية الأساسية.

(المحور الأول الثقافة الإسلامية: النظرة الإسلامية المعتمدة على تزامن المادة والروح معًا،) (155) من خلال ثقافة إسلامية متنوعة بين المصادر والأفكار والمفكرين واحتكاكه بالمسلمين في شتى بقاع الأرض.

---

[155] الاسلام بين الشرق والغرب ص 49

(المحور الثاني: الثقافة الغربية: النظرة الدينية المعتمدة على الروح وتعني وجود الإنسان، والنظرة المادية والمعتمدة على المادة وتعني الفلسفة المادية، من خلال الحياة في الغرب واطلاعه الواسع على الفلسفة الغربية والغرب بشكل عام، مفكرين وساسة وإعلاميين)(156). لقد سمّى بيجوفيتش كتابه المشهور باسم "الإسلام بين الشرق والغرب"، وأكّد في مقدمة كتابه (أنّ إشكالية بحثه تكمن في أن العالم الحديث انقسم إلى معسكرين متصارعين على أساس أيديولوجي يمر في صدام الجميع متورطون فيه مساهمين أو ضحايا، فأين يقف الإسلام في هذا الصدام؟ وهل من الممكن أن يكون للإسلام دور في تشكيل العالم؟) (157) ويجيب على ذلك في نهاية المقدمة، بأن الإسلام بحكم طبيعته مستقل عن هذه الأيديولوجيات، وكونه يحتل موقعا وسطا بين الشرق والغرب فهو يتسق مع الأسلوب الطبيعي في التفكير كونه الأكثر تناغما، وعليه – أي الإسلام – تحمُّل دوره عن طريق الأمة، وأطلق عليه الطريق الثالث – طريق الإسلام (158).

بناءً على ما سبق، هناك استنتاج لا بد منه، وهو أن تلك المحاور أنتجت المنظور المعرفي لدى بيجوفيتش في الثقافتين، ويتفرع عن ذلك فروع عدة تتفق فيما بينها أحيانا وتختلف كثيرا، وهي كالآتي:

1. **علم البيولوجيا** كما يراه بيجوفيتش هو علم يتعلق بظواهر الحياة كمنتج ولا تتعلق في جوهر الحياة، وهي أقل مستوى من المقارنة مع الإنسان والحيوان فهي مقارنة بين المادة، المادة التي

---

156 الاسلام بين الشرق والغرب ص 49

157 الإسلام بين الشرق والغرب ص 49

158 الإسلام بين الشرق والغرب ص 58

فيها التجانس والسببية والتكرار والكم، وفي مقابلها الحياة التي فيها النمو والتنوع والإبداع والعفوية، وهي مناقضة للمادة (159).

2. **الإنسان:** أي قضية في العالم تعود في أصلها إلى الإنسان وتتناقض حوله جميع الأفكار من الدين والفن والمادة والعقل والضمير؛ لكونه أساس الكون، فالإنسان من وجهة نظر إسلامية تدور حوله كثير من القضايا وتنظر إليه وجهات النظر الثلاث على النحو الآتي: تنظر المادة إلى الإنسان على أنه حيوان كامل، والفرق بينه وبين الإنسان فرق درجة لا نوع، وبالتالي ليس هناك جوهر إنساني مميز فهو عبارة عن فكرة تاريخية واجتماعية محددة فالمادة تنكر جذر الإنسان(160).

3. **الإسلام:** وهي ما أسماها بالنظرة المثالية والثقافة الإسلامية، تنظر إلى الإنسان على أنه أساس الوجود فلولاه لكان فهم الإسلام غير ممكن، والإسلام نسخة من الإنسان. ففي الإسلام ما في الإنسان بالضبط، فيه تلك الومضة الإلهية، وفيه تعاليم عن الواقع والظلال. في الإسلام جوانب قد لا تروق للشعراء الرومانسيين؛ فالقرآن كتاب واقعي لا مكان فيه لأبطال الملاحم، والإسلام بدون إنسان يطبقه يصعب فهمه، وقد لا يكون له وجود بالمعنى الصحيح (161) فالإنسان هو مقياس الإسلام ومفسره.

في كتاب حول فكر بيجوفيتش لمجموعة من المؤلفين يذكر مصطفى العلوي في حديثه حول (علي عزت بيجوفيتش معالم في الفكر والمنهج) أساسين يبنى عليهم المنظور المعرفي لبيجوفيتش، الأول: ثلاث رؤى للعالم، وهو ما يتوافق مع ما تم طرحه من حيث المعنى؛

---

[159] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 83

[160] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 66

[161] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 268

فتقسيم الرؤى إلى ثلاثة اتجاهات يمكن اختصاره إلى المحورين السابق ذكرهما، أمّا الأساس الثاني فهو قضية أصل الإنسان بالنظر لكتب بيجوفيتش فإن هذا الأساس يدخل في المحورين الآنف ذكرهما في موضوع الإنسان(162).

[162] علي عزت بيجوفتش في دروب الفكر السياسة لمجموعة من الؤلفين (ما زال الكتاب تحت الطباعة) مقالة بعنوان علي عزت بيجوفيتش معالم في الفكر والمنهج لمصطفى العلوي

الفصل الثالث : الشرق وأزمة الحضارة الغربية عند بيجوفيتش

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أزمة الحضارة المعاصرة.

المبحث الثاني: منظور علي عزت بيجوفتش لإشكالية الشرق والغرب.

المبحث الثالث: حل أزمة الحضارة الغربية عند علي عزت بيجوفيتش.

الفصل الثالث: الشرق وأزمة الحضارة الغربية عند بيجوفيتش

يعدّ الشرق إشكالية قديمة لدى الغرب؛ فمنذ يوم مؤتة إلى يوم تبوك، ومعركة اليرموك والقادسية، وصولا إلى الحروب الصليبية وما جرى بعدها من احتلال للشرق من قبل الغرب واحتلال العراق وما يجري حاليًا في فلسطين من اعتداء على أصحاب الأرض، وازدواجية المعايير يتبين لنا مدى قِدَم هذه الإشكالية وتطورها عبر العصور مدى وخطورتها على العالم ، وفي هذا الفصل سأوضح أزمة الحضارة الغربية المعاصرة من وجهة نظر بيجوفيتش.

المبحث الأول: أزمة الحضارة المعاصرة:

أولاً: أزمة الحضارة الغربية عند بيجوفتش

يوضح هذا المبحث أزمة الحضارة الغربية من وجهة بيجوفيتش وذلك من خلال الاستدلال عليها من كتبه مقارنة مع بعض من كتب في أزمة الحضارة الغربية مع إسقاطها على الواقع الحالي الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم.

إن دلالة مفهوم الحضارة من وجهة نظر بيجوفيتش دلالة سلبية؛ أما الثقافة فهي الحل والمخرج من مأزق الحضارات بالإضافة إلى الأنسنة، وقد أوضح الفصل الأول من هذا البحث نظرة بيجوفيتش للحضارة من خلال مقارنات عديدة، فلا يوجد مخرج للعالم إلا من خلال الثقافة والأنسنة، وهي الحل الأمثل للشعوب.

وتمر الحضارة الغربية بأزمة داخلية، هي أزمة أخلاق بطبيعة الحال، وسبب تلك الأزمة هو السلوك الحضاري الذي تمارسه الحضارة الغربية إما داخليًا وإما خارجيًا، ويتبين ذلك من خلال ما يهدم الأخلاق والقيم، فيقول في وصف الحضارة حول ما يسمى بالتقدم الحضاري

1. إن أكبر مدن القمار في العالم توجد في أعلى مناطق الحضارة: دوفيل ومونت كارلو

وماكاو ولاس فيجاس، ففي مدينة أتلانتيك تتسع صالة الكازينو الضخم لما يقرب من ستة آلاف لاعب (163).

2. وفي انحدار الشباب أخلاقيا يقول: كان هناك أكثر من 23 ألف شاب في نيويورك مسجلين كمدمنين للهيروين وغيره من المخدرات عام 1963، وفي كلية هنتر بنيويورك أكثر من نصف الطلاب يتعاطى الحشيش، ويصف بيجوفيتش هذا الجيل بالجيل البائس والمهزوم ويشير بيجوفيتش إلى أن الفرنسيين وضعوا الخوف من الجريمة في قائمة المشكلات في حياتهم اليومية خصوصا جرائم الشباب، فخلال عشر سنوات (1966 – 1976) ازدادت جرائم السرقة في فرنسا 177%، وفي بلجيكا تضاعف العدد، وفي مؤتمر بلجراد 1973 يقول علماء الجريمة الأمريكيين إن الناس جميعا بشكل أو بآخر لديهم نزعة الجنوح، وأنه لا يوجد أمامنا مخرج من هذه الكارثة (164).

3. يعدّ بيجوفيتش مشكلة إدمان الكحول في القرن العشرين مشكلة خاصة بالأغنياء والدول المتقدمة ويصفها بالملاذ الذي يلجأ إليه الأغنياء ويتساءل من ماذا يهرب هذا الغني، ففي الماضي كان الفقير يهرب إلى الإدمان، وأصبحنا الآن أمام مشكلة بين الغني والفقير، فمع كل ما تم اتخاذه من تدابير مثل زيادة الضرائب على الكحول إلا أن دولة مثل السويد فشلت في حل ذلك (165).

4. ويتدرج بيجوفيتش في الحديث حول أزمة الحضارة الغربية فمع كل التقدم والتحضر الذي تدعيه دول مثل فرنسا والدنمارك وألمانيا الغربية إلا أنها بالمقابل تحتل المركز الأول في

---

[163] ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 129

[164] ينظر المصدر السابق ص 127

[165] ينظر المصدر السابق ص 128

الأفلام الإباحية، ففي سنة 1975 كانت الأفلام الإباحية تمثل أكثر من نصف مجموع الأفلام السينمائية المعدة للعرض، ويقول إن باريس وحدها يوجد بها 250 دارًا للسينما مخصصة لعرض هذا اللون من الأفلام (166).

5. وفي الانحدار الأخلاقي للحضارة يقول بيجوفيتش (إن ظاهرة الانتحار تتناسب طرديًّا مع مستوى الحضارة، ويستشهد بالولايات المتحدة التي فيها أربعة أشخاص من كل ألف شخص نزلاء في مستشفيات الأمراض النفسية، وطبقا للتقارير الرسمية لسلطات الصحة العامة الأمريكية سنة 1978 أن واحدا من كل خمسة أمريكيين عانى من انهيار عصبي أو كان على حافته، وفي السويد سجلت في عام 1967 ألف وسبعمائة حادثة انتحار بزيادة 30% عن العام 1960)(167).

6. وفيما يتعلق الأسرة يقول (إن الحضارة لا تقضي على الأسرة نظريًّا فقط، بل تفعل ذلك في الواقع؛ فأول من هجر الأسرة هو الرجل وتبعته المرأة ثم الأطفال، والدليل على ذلك أن عدد حالات الزواج في نزول متزايد مقابل حالات الطلاق وأن عدد النساء العاملات في زيادة مطّردة) (168).

7. أما عن المرأة فقد استغلت الحضارة النساء وأحالتهنّ إلى موضع استغلال أو إعجاب، وحرمتهنّ من شخصيتهنّ، ومثال ذلك المهن التي شغلت بها المرأة مثل مواكب الجمال أو الموديلات وتجريدها من إنسانيتها والتعامل معها على أنها كائن جميل فحسب، ملحقة الخزي بها وذلك بتفضيلها العمل بمهنة البيع أو السكرتاريا أو عاملة النظافة على الأمومة؛

---

[166] المصدر السابق ص 129

[167] المصدر السابق ص131

[168] المصدر السابق ص 250

إذ إن الحضارة قدمت الأمومة على أنها عبودية وتفتخر بعدد النساء اللواتي حررن من الأسرة والأطفال (169) ويرى بيجوفيتش أن الحضارة الغربية حولت المرأة إلى شيء للاستمتاع به أو عبادته، وفي كلتا الحالتين سلبتها شخصيتها التي بها وحدها يمكن أن تكون موضع تقدير واحترام، وأن الحضارة الغربية جردت المرأة من وظيفتها الأساسية (170).

8. يستدل بيجوفيتش على أن ديانة مثل المسيحية لا مكان فيها للزواج، فقد دعت المسيحية إلى العفة المطلقة، ففي إنجيل متى: "لقد أمرتم بألا ترتكبوا فاحشة الزنا، وأقول لكم كل من ينظر منكم إلى امرأة بشهوة فقد زنى بها بقلبه" (171)، وفي العهد الجديد يقول بولس في إحدى رسائله: "إن غير المتزوجين معنيون بالرب كيف يرضونه، وأما المتزوجون فمعنيون بالدنيا أي كيف يرضون زوجاتهم" (172)، فبصفة عامة تنظر المسيحية إلى الزواج على أنه شر لا بد منه (173) ووما يدل على ذلك تساوى عدد الزيجات في كاليفورنيا مع عدد حالات الطلاق في عام 1960 ، وسرعان ما انتقلت هذه الأعداد إلى أعلى مراكز الحضارة في العالم، ففي أمريكا كانت نسبة الطلاق عام 1960 هي 26% وانتقلت في عام 1975 إلى نسبة 48%، فيظهر أنّه مع ارتفاع الحضارة المادية يرتفع الطلاق وهو أمر واضح في انحدار تلك الحضارة (174).

---

169 ينظر المصدر السابق ص 255-256

170 الإعلان الإسلامي ص 131

171 إنجيل متى (5: 27-28)

172 العهد الجديد: الكورنثيون (7:38)

173 الإسلام بين الشرق والغرب 343

174 المصدر السابق ص 250

ويبين بيجوفيتش أن التدهور الحضاري لدى الغرب يعود إلى عدة أسباب، هي:

– اختفاء المجتمع الأبوي واختفاء الأسرة اللذان شاعا في العالم، وخلقا جوًّا من التعاسة وولّدا الغضب والتمرد (175).

– الرفاهية وما يصاحبها من حالات عقلية تقلّل بل تقضي على الارتباط بأي نظام قيمي والحضارة أبعد من أن تمنح لحياتنا معنى (176).

– فقدان الاختيار، هو سمة قاتلة من سمات الحضارة، وذلك يظهر في تخريب الحياة الطبيعية، مثل هذه الوقائع تبدو أكثر من واضحة في بعض المجتمعات الحالية؛ إذ نجد فيها حرية مكبّلة لصالح المجتمع، وإلغاء للعلاقات الأسرية والأبوية وللتنظيم الاجتماعي على أشدّه، وعبادة الزعماء، والاختيار الدارْونيّ، والقتل الرحيم، والتعليم الاجتماعي الذي لا دوْر للأسرة فيه، والفن في خدمة الدولة، وسيادة شيوعية الملكية، وتقبّل التقدم التقني، وفرض الدولة لمساواة الجنسين في التقسيم الاجتماعي للعمل، والتطوع للعمل البدني الجماعي، والتماثل، والرقابة.

– فقدان القيم الأخلاقية مع الحضارة، والشعور بالقنوط والاستسلام أمام الجريمة من قبل علماء الجريمة.

9. استخدمت الحضارة الإسلامية البحث العلمي بما يعود بالفائدة والنفع عليها وعلى غيرها من الأمم، فكان الحافز هو فهم العالم بالمقابل نجد الحضارة الغربية قد استخدمته في غزو العالم (177) وهو رأي مماثل لفرغسون في أن الغرب استخدم العلم في تفشي الأوبئة في

---

[175] المصدر السابق ص 133

[176] المصدر السابق ص 134

[177] المصدر السابق ص 189

مناطق العالم، مثل الحمى الصفراء في السنغال والملاريا في غينيا (178)، ويقول جون تود إن مستقبل الإمبريالية يعتمد على المجهر (179).

10. ويواصل بيجوفيتش تحليله لأزمة الحضارة الغربية فيصف الاضطرابات العصابية والتشوه الذي أصاب الإنسان الغربي، ويعدّه جزءًا من الصراع الداخلي بين المُثُل والنماذج للمجتمع، وبه أصبحت الكنيسة ترعى الروح بينما الدولة تتحكم بالأفراد، فقد سُمح للإنسان الغربي بأن يكون مسيحيًّا في حياته الخاصة، وأن يكون مكيافيليًّا في معاملاته العامة، والذي لا يستطيع أن يحل هذا الصراع يقع فريسة لهذه الاضطرابات (180).

11. يقارن بيجوفيتش بين الدين الإسلامي والغرب الحديث من خلال القوميات وكبح سلطان الدين والكنيسة؛ فكلّ ما سبق يعني كل شيء من منظور الغرب، وبالمقابل فهي لا تعني شيئًا بالنسبة للإسلام.

12. من الأمور التي تُعدّ أزمة في الحضارة الغربية كثرة القوانين، فيرى بيجوفيتش أن كثرة القوانين في مجتمع وتشعبها والتعقيدات التشريعية علامة مؤكدة على وجود فساد في المجتمع، ومنبع ذلك هو إيمان العقل الأوروبي بأنه لا يمكن أن ينظم المجتمع إلا بقوة القانون ويضرب على ذلك مثالًا قانون الخمر الأمريكي الذي أُجبر المُشرّعون في النهاية على التخلي عنه في أربعينيات القرن الماضي بعد كل المحاولات التي كانت حافلة بالعنف والترويع (181).

وللصهيونية حصة في أزمة الحضارة الغربية وخصوصا ما يجري في فلسطين، فقد بادر اليهود بعمل غير إنساني وظالم في فلسطين وأعلنت الصهيونية التحدي في وجه العالم

---

178 الحضارة: كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب ص 266

179 المصدر السابق صفحة 266

180 ينظر الإسلام بين الشرق والغرب ص 300

181 ينظر الإعلان الإسلامي ص 108-109

الإسلامي وقهرت المسلمين، وبالنظر إلى المستقبل يستوحي بيجوفيتش إصرار اليهود على الغطرسة واستمرار احتلالهم للقدس وفلسطين، ويرى أنه لا حل للمسلمين سوى الجهاد والتضحيات عاما بعد عام ويوما بعد يوم، حتى يضطر اليهود إلى إعادة كل شبر من الأرض المغتصبة، وعدم المساومة على ذلك ومن يفعل ذلك فهو خائن وهدفه هدم النظام الأخلاقي (182).

ثانياً: أزمة الحضارة الغربية عند الكتاب المعاصرين

اتسمت الحضارة الغربية بالمادية المنعزلة عن الدين، وهو ما يراه رينيه غينيون في كتابه "أزمة العالم الحديث" فيقول: "إنه من السهولة بمكان استنتاج ما يصف به الشرقُ الغربَ بأنّه حضارة مادية وأنّ الحداثيين مهما دافعوا عن أنفسهم فهم في النهاية سيعودون إلى المادية" (183)، (ويجيب على من يقول إن الغرب الحديث مسيحيّ بأن هذا الكلام غير صحيح بل هو معادٍ للمسيحية) (184).

يرى يعقوب الميالي في مقال بعنوان (آفاق النقد الإسلامي للحضارة الغربية علي عزت بيجوفيتش مثالاً) أن بيجوفتش اعتبر أن أسباب ازمة الحضارة الغربية تتمثل بتقديم ما هو حضاري على ما هو ثقافي بالاضافة الى الثقافة الجماهيرية وهي ملمح حضاري سببه النظرة الى الإنسان الجمهور الذي لا ينظر إلا إلى حاجاته وتحد من الحرية من خلال الاتجاه نحو التماثل ويشير أيضاَ إلى الفراغ الروحي الموجود لدى الانسان الغربي ويعود سبب ذلك أن الحضارة تعتمد على المادة ويرى أن من أسباب أزمة الحضارة الغربية هي تحول المجتمع

---

[182] الإعلان الإسلامي ص 159

[183] ينظر غينيون، رينيه(ت1370هـ، 1951م) **أزمة العالم الحديث** (المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ،ترجمة عدنان نجيب الدين ط1، 2016) ، صفحة 109

[184] المصدر السابق صفحة 127

الغربي بشقيه الرأسمالي والإشتراكي من مجتمع أخلاقي إلى مجتمع وظيفي فالحياه عبارة عن قضية انتاج واستهلاك وتوزيع (185).

ويؤكد رينيه غينيون في كتابه "أزمة العالم الحديث" على أن الغرب سيطر على الشرق بأساليب متعدّدة، ومنها الهيمنة على الفكر وبث الأفكار والمبادئ الغربية، فيقول: "من جهة أخرى أليس باسم القانون والحرية والحضارة والعدالة ينشد الأوروبيون فرض هيمنتهم في كل مكان، ومنع كل إنسان من أن يعيش وأن يفكر بخلاف ما يعيشون هم أنفسهم ويفكرون؟" (186)، ويتفق بيجوفيتش معه من خلال ما ظهر خلال القرنين الماضيين، وفكرة أن جميع الدول لا بد أن تتحول إلى الديمقراطية النيابية رغم عدم فعاليتها في جميع المراحل وعلى الطرف الآخر هناك من يحاول تثبيت فكرة الاشتراكية لتكون الاتجاه الأساسي الذي يتحرك إليه المجتمع الإنساني سواء رغب في ذلك أم لا (187).

يتفق نيال فرغسون في كتابه "الحضارة: كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب" مع بيجوفيتش في أنّ أزمة الحضارة الغربية هي أزمة أخلاقية فيقول: "لا تخلو الحضارة الغربية بطبيعة الحال من العيوب، استنفدت هذه الحضارة حصتها من الآثام التاريخية بدءًا بوحشية الاستعمار، إلى ابتذال المجتمع الاستهلاكي، ويضاف إلى ذلك أنّ إغراقها في المادية أدى إلى كل أنواع العواقب الوخيمة، وليس أقلها تلك الرغبات التي شجَّعَنا فرويد على الانغماس فيها" (188).

---

185 ينظر الميالي، يعقوب حسن بريد. **آفاق النقد الإسلامي للحضارة الغربية : علي عزت بيجوفيتش** مثالا 204-226 ..https://search.emarefa.net/detail/BIM-1408401

186 أزمة الحضارة الغربية، ص 140

187 الإعلان الإسلامي ص 161

188 كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب ص 484

وفي كتاب "أزمة الحضارة الغربية" للدكتور عبد القادر طاش يقول في فصل "الحضارة الغربية بلا أخلاق": "إن هذه الحضارة بها الكثير من المشاكل الأخلاقية ومنها الأسرة حيث أطلق عليها الأشلاء المحطمة". ويتفق مع بيجوفيتش في أن عدم وجود الأسرة في المجتمع، وعمل المرأة من الكوارث في أي حضارة (189)، ويقول أيضا إن من أهم المشاكل في الحضارة الغربية الفوضى الجنسية، وبالرجوع إلى استفتاء لمجموعة من الطلاب والطالبات في عام 1971 تبيّنَ أنّ 5/1 من الطلاب له علاقة جنسية، كما يوجد الآن عشرة ملايين أميركي شاذّ جنسيا، وهو ما يدل على كثرة هذه الظاهرة في هذه المجتمعات التي تدعي الحضارة (190).

وفي وصف أزمة الحضارة الغربية يتفق عبد القادر طاش مع بيجوفيتش في أن الجريمة أداء فتاك في المجتمعات، وهذه الظاهرة تكثر في الغرب وذكر لها أسبابًا عديدةً، هي: البيئة التي توفر الجريمة، والقانون الذي لا يوقف هذه الجريمة، كما أنّ هذا الإنسان الذي صنع جهاز الكمبيوتر هو نفسه الذي يستخدمه بما هو مضر (191).

يرى الدكتور إبراهيم حركات في بحثه "هل ستضمحل لحضارة الغرب" أن أول خطر أصبحت تواجهه الحضارة الغربية هو تهديد الخلية الأساسية التي هي الأسرة، والتحلل الأخلاقي الذي بلغ مبلغه في الأسرة حيث تطغى عليها الأنانية الفردية وتموت فكرة تضامن العائلة، بالإضافة إلى المخدرات التي تشكل خطرًا صحيًّا وعقليًّا وخصوصا على فئة الشباب، ومن ثَمَّ يلجأ الشباب إلى العنف والتأثر بالعصابات، ما يؤدّي إلى العواقب الوخيمة التي تنتجها هذه العقاقير، وفي المقابل تواصل الحضارة الغربية جهدها لضمان وسائل الرفاهية مبعدة عن

---

189 طاش، عبد القادر (ت 1425هـ، 2004م) **أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي** (كتاب المختار) ص 25

190 المصدر السابق ص 26-28

191 المصدر السابق ص 28

ناظريها وسائل العلاج التي تخفف أزماتها الاجتماعية، ويتفق مع بيجوفيتش في أن القوانين الوضعية والحملات الإعلامية الكثيرة لم تصل إلى حل ولم تنجح في إيقاف هذه التهديدات .(192)

يرى طه عبدالرحمن في كتابه (روح الحداثة) أن نظام الأسرة في الغرب هي من أهم مشاكل الغرب الحديث وذلك من خلال انفصالها عن الاخلاق ويأتي ذلك من خلال ثلاث مبادىء وهي كالآتي :

1. مبدا التوجه إلى الإنسان من خلال ترك التوجه فيالتصرفات للإله إلى الإنسان فالانسان هو الذي يحدد زمامه بيده ويحدد مصيره
2. مبدأ التوسل بالعقل وهو مبدأ ترك الوحي الإلهي إلى العقل البشري فالعقل البشري كما يرى هؤلاء بمنزلة السلطان الداخلي الذي يملكه الانسان ليطلق الاحكام
3. مبدأ التعلق بالدنيا وهو مبدأ يدعو إلى ترك الأعمال والمعاملات إلى التعلق بالدنيا ويعتبر هؤلاء أن الدنيا هي مآل الإنسان ومستقره)193(

ويقول مصطفى عبد القادر غنيمات إن الحضارة الغربية تعاني اليوم من مشكلات خطيرة جدا ويحذّر أبناءها منها، الشيء الذي يعني أن الحضارة الغربية في تدهور مستمر، ويستشهد على ذلك من مفكّري الغرب نفسه، مثل: شبنجلر في قوله إنّ الحضارة الغربية قد شاخت وهي إلى زوال، وبكلام الرئيس الأمريكي ولسون أن الحضارة الغربية لا تستطيع أن تستمر

---

[192] حركات، إبراهيم(ت 1441هـ، 2020م) (**هل ستضمحل حضارة الغرب ؟**.هدي الإسلام، مج ,27 ع ،1 33 – 35. مسترجع من http//:search.mandumah.com/Record413016/ ص 33 و34

[193] عبدالرحمن، طه **روح الحداثة** (المركز الثقافي العربي ط 1) ص 99

على المادة إلا إذا استرجعت روحها، ويضع الكرة في ساحة الكنيسة والمنظمات وكل من يخاف الله (194).

يتضح لنا مما سبق أن بيجوفيتش كان محقا عندما أفرد فصلًا في كتابه بعنوان "الأخلاق" مصدّرًا إياه بعبارة "يوجد ملحدون على خلق ولكن لا يوجد إلحاد أخلاقي"؛ فالأخلاق هي أساس الشعوب، فإن سقطت هذه الأخلاق فتلك إذن بداية النهاية، وعليه فإن الحضارة الغربية حضارة ساقطة أخلاقيا بشهادة من درسها من داخلها وخارجها، وسقوطها من خلال العادات الاجتماعية السيئة مثل الفردية في الأسرة، واستغلال المرأة، والمخدرات، والانتحار، وازدواجية المعايير في التعامل مع الآخر، الأمر الذي يظهر جليًّا في مواقفهم تجاه ما يجري في فلسطين المحتلة، وفي التعامل مع اليهود المغتصبين والفلسطينيين أصحاب الأرض.

194 غنيمات، مصطفى ، **القيم الغربية المعاصرة من منظور فلسفي: دراسة تقويمية في ضوء الإسلام**، مجلة جامعة الملك سعود – العلوم التربوية والدراسات الإسلامية مج 20 ع 2 (2008): 379 – 420، مسترجع من Record/com.mandumah.search://http27875/ صفحة 399-400

المبحث الثاني: نظرة الغرب إلى الشرق من منظور علي عزت بيجوفيتش:

يتناول هذا المبحث إشكالية الشرق والغرب، من خلال نظرة الغرب إلى الشرق، ويوضح طبيعة هذه الإشكالية وأساسها.

بعنونة بيجوفيتش كتابه بـ"الإسلام بين الشرق والغرب" يتبين أن مشكلة تظهر في نظرة الغرب إلى الشرق، فيقول بيجوفيتش في مقدمة كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب": "يتميز العالم بصدام أيديولوجي نحن جميعا متورطون فيه سواء كمساهمين أم ضحايا ومن هنا يأتي الحديث باختلاف وجهات النظر حول العالم وباختلاف وجهات النظر تظهر الإشكالية" (195).

ولا بد هنا من الإشارة إلى مقدمة المترجم محمد يوسف عدس وذلك بعنوان "العداء الغربي للإسلام"، حيث يقول: "إن عداء الغرب للإسلام ليس عداء تقليديًّا ولا صدامًا حضاريًّا وعسكريًّا بدأ منذ الحروب الصليبية حتى حروب الاستقلال فحسب، وإنما يرجع هذا العداء بصفة خاصة إلى تربية الغرب التاريخية مع الدين وعجزهم عن فهم الإسلام" (196).

يذكر بيجوفيتش أن من أهم الإشكاليات بين الشرق والغرب هو عدم فهم المصطلحات وعدم وجود مصطلحات في اللغات الأوروبية مقابل التعريفات الإسلامية، ويقول إنّه من غير الممكن التعبير عن الإسلام باستخدام المصطلحات الأوروبية، فالمصطلحات الإسلامية مثل: زكاة، صلاة، خليفة، جماعة، وضوء، وغيرها من المصطلحات لا يوجد ما يقابلها في المعاني

---

[195] الإسلام بين الشرق والغرب ص49

[196] مقدمة المترجم الكتاب الإسلام بين الشرق والغرب ص 47

في اللغات الأوروبية، وهذه المصطلحات بالنسبة للمسلمين أساسية وعدم فهمها من الجانب الغربي هو بمثابة إشكالية يبنى عليها الفهم الخاطئ للإسلام (197).

ومن الإشكاليات التي توضح عدم فهم الغرب للإسلام، فهم حقيقة الإسلام وموقفه الوسط بين الدين والعلم، فمن جانب الدين اتهم الإسلام بأنه يلتصق بالطبيعة وأنه متكيف مع الدنيا، وأما من جانب العلم فإنه ينطوي على عناصر غيبية ودينية، ويوضح هنا ويقول إنّه في الحقيقة يوجد إسلام واحد فحسب، ولكن شأنه كشأن الإنسان له روح وجسم، ويرى المسيحيون الإسلام أنه حركة اجتماعية سياسية؛ أي اتجاه يساري، بينما يراه الماديون أنه دين وغيب فقط؛ أي اتجاه يميني (198) وهذا من الأهداف التي أشار إليها بيجوفيتش في نهاية مقدمة كتابه حيث يقول في وصفه للكتاب: "إنه على الأرجح محاولة ترجمة الإسلام إلى اللغة التي يتحدث بها الجيل الجديد ويفهمها" (199). إذن من المشاكل الأساسية التي بنى عليها بيجوفيتش كتابه عدم فهم الغرب للشرق وبالتالي تنشأ الصراعات والحروب والاستعمار.

من المشكلات التي حاول بيجوفيتش علاجها في كتابه (الاسلام بين الشرق والغرب) هي انقسام العالم إلى معسكرين متصادمين على أساس صراع أيديولوجي حيث يعتقد أن المواجهة بين الأفكار تنعكس على الواقع بوضوح وتتخذ أشكالا عملية وهذا ما يتعاظم كل يوم حيث يبرز عالمان منقسمان تماما سياسيا وعقائديا ووجدانيا، وفي المقابل لا يزال جزء من العالم لم يتأثر بهذا الاستقطاب، غالبيته تتكون من الدول المسلمة(200)، وسبب ذلك أن الإسلام مستقل من الناحية الأيديولوجية، ويدعو هنا إلى أهمية استقلال الدول الإسلامية سياسيا

---

197 الإسلام بين الشرق والغرب ص 55

198 المصدر السابق ص 56

199 المصدر السابق ص 58

200 كان ذلك حين كتابة بيغوفيتش لكتابه الاسلام بين الشرق والغرب.

وعقائديا ليتم الخلاص من النماذج والتأثيرات الأجنبية (201)، ولعل بيجوفيتش أراد أن يشير إلى بلدان بعينها، فقد ألغت باكستان وإيران عضويتهما من منظمة سينتو الموالية للغرب في نفس الوقت الذي ألف فيها بيجوفيتش كتابه.

مما لا شك فيه أن أهم إشكاليات الشرق والغرب هي الرغبة الغربية في الهيمنة على الشرق عموما، وعلى الإسلام خصوصا، ومنها المركزية الغربية في العالم. يقول صمويل هنتنغتون في كتابه "صراع الحضارات": "كل حضارة ترى نفسها مركزا للعالم، وتكتب تاريخها وكأنها الدراما الرئيسية في التاريخ الإنساني، وربما كان ذلك ينطبق على الغرب أكثر مما هو على أي ثقافة أخرى" (202).

في بحث بعنوان "العلاقة بين الغرب والشرق، تعرّف أم هيمنة؟" يحاول مؤلفه ربيع العايد الوصول إلى إجابة هذا السؤال: هل العلاقة علاقة هيمنة أم تعارف؟ ويتوصل من خلال الكتاب الغربيين إلى إثبات رغبة الغرب في الهيمنة على الشرق، ويستشهد بعدة شواهد من كتاب غربيين، منهم صموئيل هنتنغتون في كتابه "صدام الحضارات"، حيث يقول: "فنحن لا نعرف من نكون إلا عندما نعرف من ليس نحن وذلك يتم غالبا عندما نعرف نحن ضد من" (203)، ويقول المؤلف هنا: "لهذا تجد أمريكا لنفسها عدوّا في كل مرة، وذلك لتدرك ذاتها ثقافيا، هو الشرق الإسلامي، وأما اقتصاديا فإنها منظمة الأوبك" (204)، والهيمنة هنا هي

---

[201] الإسلام بين الشرق والغرب ص 57-58

[202] صدام الحضارات ص 90

[203] صدام الحضارات ص 39

[204] العايب، ربيع، و زيغمي، أحمد. (2021). العلاقات بين الغرب والشرق: تعرف أم هيمنة؟.مجلة الحوار الثقافي، مج10، ع1، 23 - 42. ص 29

على مختلف الخطابات والمفاهيم الفنية، فقد جعل شرط تحققها هو دمج الأجنبي أو المتخلف في ثقافة المهيمن وجعل مقدار الاندماج هو معيار التحضر(205).

مما سبق لا بد لنا أن نعترف أن علاقة الغرب الحالي مع الشرق هي إشكالية تبرز من خلال الهيمنة الغربية على الشرق، وهي هيمنة مطلوبة ومرادة لدى الغرب بحد ذاتها، وفي حال أردنا حل هذه الإشكالية فلا بد للغرب أن يفهم الإسلام بفهم مصطلحاته، وأن يرجع إلى أصول الدين وأصول الفقه، ثم يبني عليها علاقته مع المسلمين .

فالرجل الأبيض يرى أن حضارته هي النموذج الوحيد للحضارة وهو ما سمي بعد ذلك (تغريب العالم) ومنها العالم المسلم وأن العالم غير الرجل الأبيض ما هو إلا عالم منتج ووقود للحروب والمعارك وهكذا تقوض القوة الاستعمارية أركانها الخيالية وقوتها وهذا ما هو إلا إفقاد الغرب رسالته الحضارية(206)

وكون التكنولوجيا اختراع للغرب وسيفه البتار لمواجهة الدول المتخلفة في التربية والتعليم وهدفها تخريج إنسان عبارة عن آلة لا يهمه سوى الاستهلاك الحيواني الشرس وهذا ما أشار إليه بيجوفيتش أن الحضارة لا يمكن بحفظها من داخلها وإنما فقط من خارجها، فالعالم الغربي لا يرى عدوا أخطر عليه من عالم ومتعلم واعي بمسؤولياته ووضعت في يده التقنيات الحديثة(207)

---

[205] المصدر السابق ص 40

[206] لاتوش، سيرج **تغريب العالم** (دار العالم الثالث ط 1 1992) ص 22

[207] التركاوي،ادريس، الوحدة ثنائية القطب عند بيجوفيتش، (كتاب الأمة العدد 192) ص 129

المبحث الثالث: حل أزمة الحضارة الغربية عند علي عزت بيجوفيتش:

يعرض هذا المبحث للحلول الممكنة لأزمة الحضارة الغربية التي قدمها بيجوفيتش بغية تقديم تصوّر واقعيّ لما يمكن أن يخرج الحضارة الغربية من أزمتها الراهنة.

أولاً: حل أزمة الحضارة الغربية عند بيجوفتش

بما أن بيجوفيتش عدّ في كتبه أن أزمة الحضارة الغربية في أصولها أزمة أخلاقية من حيث المبدأ، فلاشك أن الحل سيتأسس على هذا التشخيص الأخلاقي.

ومن حيث المبدأ فإن الحضارة بأصلها هي أزمة كما يرى بيجوفيتش وقد سبق عرض ذلك في الفصل الأول والثاني في معرض الحديث عن الحضارة والثقافة، فلا بد من الرجوع إلى الثقافة وأنسنة الحضارة وأسلمتها لتكون صالحة للاستخدام، ومن الحلول الواقعية التي قدمها بيجوفيتش في كتابه ما يلي:

– تقديم الثقافة على الحضارة، من من خلال عدة اجراءات وهي

1. إنّه لا يمكن دحض الحضارة من داخلها وإنما من خارجها بواسطة الثقافة.

2. لا يستطيع العلم أن يتراجع نحو الدين، أو أن تتراجع الحضارة إلى الأسرة التقليدية، فالدائرة محكمة الإغلاق.

3. الثقافة برأي بيجوفيتش هي مخرج مهم لحل أزمة الحضارة الغربية (208)

4. ليست دعوة لرفض الحضارة، وإنما دعوة لتحطيم الأسطورة التي تحيط بها، ومن ثمّ السّعي إلى المزيد من أنسنة هذا العالم وهذه هي طبيعة الثقافة (209).

---

[208] الإسلام بين الشرق والغرب ص 135

[209] المصدر السابق ص 140

وبما أن المشكلة الأساسية للغرب هي مشكلة أخلاقية فلا بد من إصلاح هذه المنظومة، وإصلاحها يعود إلى النظرة للإنسان، فوجهات النظر الحالية في العالم تعود إلى ثلاث أفكار رئيسة، وهي تباعا على النحو الآتي:

1- الرؤية المادية للإنسان بأنه مادة محضة، وهي فلسفة تنكر التطلعات الروحية للإنسان، والاشتراكية مثال جيد على هذه الفلسفة، فهي تقدم خلاصا خارجيا فقط من خلال الاستهلاك وتحسين مستوى الدخل أو تغيير البيئة الاجتماعية.

2- الرؤية الدينية المجردة عن الروح الخالصة وهي رؤية للدين باعتباره تجربة روحية فردية خاصة لا تذهب أبعد من العلاقة الشخصية بالله، وهذه الرؤية تنكر الاحتياجات المادية للإنسان، والمسيحية مثال جيد على هذه الرؤية، فهي تقدم خلاصًا داخليًّا فحسب.

3- رؤية تعترف بثنائية الروح والمادة معا وتكاملهما، وهذا ما يؤدي إلى الرؤية الإسلامية؛ فالإسلام كما يرى بيجوفيتش وُجِدَ قبل الإنسان، وهذه الرؤية ثنائية القطب للمادة والروح معا نستطيع من خلالها الوصول إلى التعامل الأخلاقي والإصلاح الأخلاقي في المجتمعات (210).

- من الأمور التي ركز عليها بيجوفيتش، والتي تعدّ حلًّا لأزمة الحضارة بشكل عام، والحضارة الغربية بشكل خاص هي قضية الحرية، ويعني بها مقدرة الإنسان على الاختيار، فهي سمة إنسانية، ويرى بيجوفيتش أن قضية الخلق في الحقيقة هي قضية الحرية الإنسانية ويقول وإذا قبلنا أن الإنسان جميع أفعاله محددة سابقًا، أو أنه لا حرية له فليس هناك ضرورة للألوهية

[210] المصدر السابق صفحة 49

في تفسير الكون وفهمه، وإذا سلمنا بحرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله كأننا بذلك نعترف بوجود الله إما ضمنا وإما صراحة (211).

ويعد كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" حلا لإشكاليات الشرق والغرب من خلال الإسلام، وكتاب "الإعلان الإسلامي"، والذي قدم بيجوفتش من خلاله حلولاً إسلامية لجميع المشاكل التي تواجه العالم، بدءًا بالدين والقانون ومن ثم المعضلات التي تواجه العالم الإسلامي: الرؤية الصحيحة للإنسان والفرد والجماعة، المساواة بين الناس، الملكية، المبدأ الجمهوري، التعليم، حرية الضمير، الأسرة، الأقليات، العلاقة مع المجتمعات الأخرى، ومن ثم قدم علاجا للمشكلات الراهنة في النظام الإسلامي، وفيما يلي بيان لبعض هذه الموضوعات، والحلول التي قدّمها في ضوء الإسلام:

– الفرد والمجتمع: يقول بيجوفيتش: إن المجتمع الإسلامي لا يمكن إقامته على أساس من المصالح الاجتماعية والاقتصادية فحسب، وسبب ذلك أن هذا المجتمع يقوم على أساس ديني؛ إذ إن العلاقة فيه يجب أن تقوم على تآلف شخصي مباشر، فهي ليست علاقة مجهولين ببعضهم البعض، ومن ثم فإنّ الجماعة تخلق رأيا عامًّا بعيدًا عن العنف، فالإنسان ليس وحده يفعل ما يحلو له، ولا محروما من المؤازرة المادية، وعدم شعور الإنسان بقربه من الآخرين يعني إخفاق المجتمع، فالإسلام لم يأت للتدخل بكل صغيرة وكبيرة بين الناس، وإنما يتدخل في الحالات العاجلة فقط (212).

---

[211] المصدر السابق صفحة 12–13

[212] الإعلان الإسلامي ص 97–98

– المساواة بين الناس: يقول بيجوفيتش: إن الإسلام أقر قضيتين أساسيتين ألا وهما: وحدانية الله، والمساواة بين الناس؛ فالإسلام لا يقبل تصنيف الناس بحسب الطبقات مثلا، ولا على غيرها من المعايير، وهذا من أخلاق الإسلام أنه لا يقبل التمييز بين الناس (213).

– حرية الضمير: يرى بيجوفيتش أن تربية الشعب وخصوصا في وسائل الإعلام يجب أن يكون بأيدٍ أمينة ونظيفة وذات كفاءة عالية، تتميّز بقدرات فكرية عالية، وهذا لا يعني أن النظام الإسلامي دكتاتوري، وإنما هناك مبادئ أولية وقواعد سلوكية لا بد من الاهتمام بها (214).

– المرأة والأسرة: يرى بيجوفيتش أن للمرأة في المجتمع مكانة رفيعة؛ فهي مربية الأجيال، ولا يجوز أن تكون امرأة جاهلة تعيسة، بل على المجتمع أن يدرك وظيفة المرأة الأساسية وهي الأمومة بالمقام الأول، وبوصفها وظيفة اجتماعية داخل المجتمع، وهذا ليس متوافقًا ما يحدث في المجتمعات الغربية، ويقصد بها الحركات النسوية التي تخرج المرأة عن وظيفتها الأساسية إلى الاستغلال والفساد، وهي لا تمثل المساواة المطلقة بين الجنسين بالمعنى الأوروبي، وإنما إبراز القيمة المتساوية بين الذكر والأنثى في التكليفات والالتزامات الدينية والأخلاقية، أما بالنسبة للأسرة فقد تمسك الإسلام بهذا الكيان مع كل ما تقديمه على طبق من ذهب لعزله، إلا أن الإسلام أعلى من شأن الأسرة فهي التي تجنّب المجتمع الفساد والتخريب الداخلي والخارجي مثل إدمان الخمر والدعارة وانتفاء المسؤولية (215).

– العلاقة مع المجتمعات الأخرى: يقر بيجوفيتش تحت هذا العنوان أسسًا ومبادئ عديدة يجب أن تكون أساسا في التعامل مع المجتمعات الأخرى وهي: الحرية الدينية، القوة والتصميم

---

213 الإعلان الإسلامي ص 99

214 الإعلان الإسلامي ص 107

215 الإعلان الإسلامي ص 112-113

على الدفاع الفعال، حظر جرائم الحرب والحروب العدائية، التعارف بين الشعوب والتعاون المشترك، احترام العهود والمواثيق، المعاملة بالمثل (216).

– التربية: يرى بيجوفيتش أن التربية هي لبّ وجود المجتمع، فهي ليست مجرد وظيفة من وظائف المجتمع، وعلى النظام أن يقضي على جميع أشكال التربية الخاطئة، كما على النظام الإسلامي أن يتخذ جميع الإجراءات لردعها والقضاء عليها وهي كالآتي: جميع أنواع المسكرات والمخدرات، الدعارة السرية والعلنية، الإباحية بشتى أشكالها، أندية القمار والرقص (217).

إذن من خلال الإسلام يقدم لنا بيجوفيتش نموذجًا فريدًا من الأفكار والحلول التي من شأنها أن تنزع فتيل الأزمة الأخلاقية التي تمر بها الحضارة بشكلٍ عام، والحضارة الغربية بشكل خاص، وبالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية نستخلص أن الإسلام وضع جميع الضوابط والأسس التي من شأنها أن تنظم علاقة الإنسان بالله وعلاقته بنفسه وعلاقته بغيره.

ثانياً: حل أزمة الحضارة الغربية عند الكتاب المعاصرين

يتفق يعقوب الميالي في مقالته مع فكرة ثنائية الروح والمادة معاً، بحيث يرى أن بيجوفتش اعتبر أن أزمة الحضارة الغربية يكمن في الإسلام كدين يجمع بين الروح والمادة ومن الأمور التي دعا إليها الإسلام وهي تعتبر بمثابة حل لأزمة الحضارة الغربية الآتي:

1. آفاق التكامل في الاسلام فالإسلام يمزج بين العالم الجوّاني (الروحي) والعالم الواقع، بين التنسّك والعقل، بين التأمّل والنّشاط، فقد بدأ الإسلام صوفيًّا وأخذ يتطوّر حتّى أصبح دولة، والإسلام نسخة من الإنسان، ففي الإسلام تمامًا ما في الإنسان

---

[216] الإعلان الإسلامي ص 116-117

[217] الإعلان الإسلامي ص 105

2. الاتّساق بين الفردي والاجتماعي فالإسلام ليس مجرّد أمّة بالمعنى البيولوجي أو الإثني أو العرقي، وليس حتى جماعة دينيّة بالمعنى الروحي الخالص للكلمة، وإنما هو «دعوة لأمّة أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أي تؤدّي رسالة أخلاقيّة

3. التوازن في الإسلام من خلال التشريعات التي تُقسّم إلى عبادات ومعاملات، فالعبادات تهتم بالجانب الروحي للإنسان، بينما المعاملات تنظّم الجانب الخارجي الاجتماعي لحياة الإنسان[218]

يتفق مصطفى عبد القادر غنيمات مع بيجوفيتش في أن حل أزمة الحضارة الغربية لا يكون إلا من خلال الأخلاق الإسلامية، واستشهد على ذلك بوقائع ورد الحديث عنها في القرآن والسنة والسيرة النبوية، منها:

– وصفُ القرآن الكريم رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – بصاحب الخلق العظيم، وعندما سُئلت عائشة – رضي الله عنها – عن خلق الرسول – صلى الله عليه وسلم – قالت: "كان خلقه القرآن"، ولما قيل له أن يدعوا على المشركين قال: "إني لم أبعث لعّانا، وإنما بُعِثْتُ رحمة" (219).

– إقرار الإسلام للشورى مبدأً أساسيًّا يقوم عليه النظام الإسلامي دون أن يحدد آلية معينة لهذا المبدأ، بل ترك الأمر للأمة الإسلامية لاختيار الأسلوب المناسب لإدارة الدولة (220).

---

[218] الميالي، يعقوب حسن بريد. 2020. آفاق النقد الإسلامي للحضارة الغربية : علي عزت بيجوفيتش مثالا. الاستغراب،مج. 5، ع. 21، ص ص. 204-226 1408401-BIM/detail/net.emarefa.search://https.

[219] غنيمات، مصطفى عبدالقادر. (2008). القيم الغربية المعاصرة من منظور فلسفي: دراسة تقويمية في ضوء الإسلام.مجلة جامعة الملك سعود – العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مج ,20 ع ،2 379 – .420 مسترجع من Record/com.mandumah.search://http27875/ ص 402

[220] المصدر السابق صفحة 404

– اعتبار الإيمان بالبعث أساسًا ضروريًّا للقيم والأخلاق، وبانتفاء عقيدة الإيمان بالبعث يؤدي ذلك بالضرورة إلى التعارض مع الأخلاق ومع روح الأخلاق، ومعنى ذلك انعدام الجزاء، ومن ثم يستوي الخير والشر، ويصبح كل شيء مباحًا، لكنّ الإسلام جعلَ الإيمان بالبعث من أهم الأمور التي تثبت الأخلاق والقيم الأخلاقية في المجتمع (221).

– ربطُ الإسلام الأخلاق بالعقيدة والعلم والإيمان والاقتصاد والسياسة والحرب، ورفض مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" وإقراره أنّ الغاية الشريفة تستخدم الوسيلة النظيفة، وهذا الربط المتماسك في جميع معاملات الحياة هو ما يجعل المجتمع أخلاقيًّا في تعامله مع نفسه ومع غيره (222).

– دعوةُ الإسلام إلى عدم التمييز أو فصل يكون على أساس اللون أو العرق أو الدين؛ لأن العدل لا يميل مع مصلحة شخصية، فقد أعلن القرآن الكريم وحدة النوع الإنساني في قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (223)، فلا مكان للتفوق العرقي أو النزعة العنصرية في الإسلام، وليست هناك قيمة مادية في الأرض تعلو على قيمة الإنسان أو تهدر الإنسانية من أجلها (224).

– إقرار الإسلام مبدأَ ملازمة الارتباط الوثيق بين الأخلاق والسياسة، من خلال عدم الفصل بين الأخلاق والسياسة يقول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾

---

221 المصدر السابق ص 406

222 المصدر السابق ص 408

223 سورة الحجرات الآية 113

224 المصدر السابق ص 411

(225)، وهذا من الحلول الواقعية والإيجابية التي وضعها الإسلام بحيث تتلازم وترتبط الأخلاق بالسياسة ارتباطاً وثيقاً (226).

– تثبيت الإسلام مبدأ الأخوّة الإسلامية، وهي تجربة رائدة في تاريخ العدل الاجتماعي، ويمكن أن تنجح هذه التجربة بعد أن تستكمل الشروط وتتهيأ لها الأسباب في القيادة والقاعدة على السواء، فعلى سبيل المثال كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأخ الأكبر للجماعة المسلمة، ومن خلالها انمحت العنصرية الجاهلية، فلا حمية إلا للعقيدة الإسلامية، وعند ذلك تسقط فوارق النسب واللون والوطن (227).

يُستنتَجُ ممّا سبق أنّ الإسلام وضع أنموذجًا قويًّا وفريدًا من نوعه في تنظيم العلاقات مع الخالق والنفس والناس، وهذا من شأنه أن يكون حلًّا واقعيًّا لأي أزمة في المجتمع؛ لأنّ الذي وضع هذه التشريعات والأحكام هو الله – عز وجل – لا العقل البشري الوضعي الذي نشأ في الغرب بعد القرون الوسطى، فالعقل قاصر على تنظيم أمور الحياة لأنه يجتهد بما يراه مناسبا وفق المصلحة الخاصة، أما ما يؤسّسه الدين الإسلامي فهو واقعيّ بعيد عن المصلحة أو الأهواء.

---

[225] سورة النساء الآية 59

[226] القيم الغربية المعاصرة من منظور فلسفي ص 412

[227] المصدر السابق صفحة 413

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فهذا ما بسطته وقررته في هذه الرسالة، بعد هذه الرحلة الماتعة في رياض الإنتاجات العلمية لعلم من أعلام التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر المفكر الفيلسوف الشاهد على عزت بيغوفيتش، وها أنا ألخص نتائج هذا البحث معقبا عليها بآفاق وتوصيات.

نتائج البحث

1. أسهمت البيئة التي عاش فيها بيجوفتش وتكوينه الفلسفي والقانوني والسياسي في صياغة منظور معرفي متكامل الأركان والعناصر حول إشكالية الشرق والغرب؛ سواء من جهة خصائصه المتفردة او مصادره المتنوعة، أو أسسه الراسخة.
2. أعمل بيجوفتش في منظوره المعرفي لإشكالية الشرق والغرب مجموعة من الأنساق المتداخلة والمركبة التي تناولت قضايا الدين وظاهرة الفن والأخلاق والعلم والثقافة والحضارة والتاريخ والاديان والدين الإسلامي.
3. ينطلق المنظور المعرفي لبيجوفتش من نظرته إلى الكون القائمة على ثلاث وجهات نظر فمنها المادي ومنها الروحي ويقف الاسلام بينهما في وحدة ثنائية القطب بين الروح والمادة
4. تميز بيجوفتش بكثرة مصادره فتنوعت بين المصادر الاسلامية والفلسفات الاوربية والاديان السماوية اليهودية والنصرانية بالاضافة الى الفنون المسرحية والروايات...
5. جعل بيجوفتش من التفريق بين الحضارة والثقافة مدخلا منهجيا رئيسا في تفكيك إشكالية الغرب والشرق وفهم أزمة الحضارة الغربية، وجعل بينهما جداراً فاصلاً فالثقافة تنور وغايتها لا تبرر وسيلتها اما الحضارة فالغاية عندها تبرر الوسيلة

6. اعتبر بيجوفيتش أن ازمة الحضارة الغربية هي بالمستوى الاول أخلاقية وسبب ذلك التعامل مع الحضارة المادية وليس مع الثقافة الانسانية
7. الحل الأمثل والانجع عند بيجوفتش لحل أي أزمة وخصوصاً أزمة الحضارة الغربية هو الرجوع الى تعاليم الاسلام الحنيف وتطبيقها بحذافيرها وهو ما تناوله في كتابه الاعلان الاسلامي

التوصيات

1. يوصي الباحث مؤسسات الترجمه بترجمة جميع ما كتب بيجوفتش من كتب ومقالات الى اللغات الأخرى وبالأخص اللغة العربية ليرى العالم هذا الفكر الوسيط والمنفتح على الآخر
2. يوصي الباحث المؤسسات البحثية والباحثين بتناول أفكار وكتب بيجوفتش ومراجعتها وبثها بين الجمهور العربي والاسلامي وتحويلها الى افكار عملية من شأنها أن تنتج تغييراً في العقل المسلم
3. يوصي الباحث بترجمة البحث إلى اللغة البوسنية للإستفادة منها في بلد بيجوفتش

وقد كتبت ما غلب على ظني أنه صواب، مفرغا وسعي في البحث والنظر، مع اعترافي بقصوري، غير زاعم أني قد أصبت في جميع ما أوردت، سائلا الله تعالى أن ينفع بصوابه وأن يتجاوز عما أخطأت فيه، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم

الإدريسي، عبد العزيز **الأخلاق وأزمة الحداثة عند علي عزت بيجوفتش بعيون مغربية**

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت 321هـ ،933م) **جمهرة اللغة** (دار العلم للملايين – بيروت ط 1، 1987)

الأصفهاني، الراغب **المفردات في غريب القرآن** (دار القلم، الدار الشامية دمشق، ط 1 – 1991م)

أمين، أحمد (ت1373هـ ، 1954 م) **الشرق والغرب** (مؤسسة هنداوي، 2017)

البطيوي، عزيز، **سنن العمران البشري في السيرة النبوية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2018

إنجيل بولس متى موقع الأنبا تكلا هيمانوت – الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر Microsoft Word – 49–Luke (st–takla.org)

إنجيل متى موقع الأنبا تكلا هيمانوت – الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر Microsoft Word – 47–Matthew (st–takla.org)

إنجيل لوقا موقع الأنبا تكلا هيمانوت – الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر Microsoft Word – 49–Luke (st–takla.org)

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي أبو عبد الله، **صحيح البخاري** تحقيق: جماعة من العلماءالطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني

بيجوفتش، عزت(ت1424هـ ،2003م)**الإسلام بين الشرق والغرب**(دار الشروق، ترجمة محمد يوسف عدس ط4 2014)

بيجوفيتش، علي عزت بيجوفتش **الإعلان الإسلامي**(مدارات للأبحاث والنشر نرمة محمد يوسف عدس ط9 ،2021)

بيجوفيتش، علي عزت، **سيرة ذاتية وأسئلة لا مفر منها** (دار الفكر، ترجمة د. عبد الله الشناق ود. رامي جرادات، ط 1 2004)

بيجوفيتش علي عزت، **هروبي إلى الحرية** (دار الفكر، ترجمة إسماعيل أبو البندورة ط 14 ، 2021)

التركاوي،ادريس، **الوحدة ثنائية القطب عند بيجوفيتش** (كتاب الأمة العدد 192)

توينبي، أرنولد(ت 1395، 1975م) **مختصر دراسة التاريخ** (المركز القومي للترجمة ترجمة محمد فؤاد)

الجوهري، اسماعيل (ت 393 هـ / 1003 م) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** (دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1987م)

حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن(ت1425هـ،2004م) **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم** (دار القلم – دمشق ط 1)

حركات، إبراهيم. (1983). **هل ستضمحل حضارة الغرب ؟** هدي الإسلام، مج ,27 ع ،1 33 – .35 مسترجع من http//:search.mandumah.com/Record413016/

حمودة، عبدالحميد **الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي** (الدار الثقافية للنشر)

ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد(ت808هـ،1406م) **المقدمة،:** (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،، ط4)

ديورانت، ول (ت 1401هـ ، 1981 م) **قصة الحضارة** (دار الجيل للطباعة بيروت)

الرازي، محمد بن ابي بكر (ت،323هـ 925م) **مختار الصحاح،** (مكتبة لبنان، 1986 م)

الزبيدي، محب الخطيب أبى الفيض السيد محمد(ت602هـ،1205م) ، **تاج العروس من جواهر القاموس**) دار الفكر)

سبع، توفيق محمد ، **قيم حضارية في القرآن الكريم** (دار المنار،القاهرة1972)

صادق، ثاقب **رسالة دكتوراة بعنوان على عزت بيجوفيتش وجهوده الفكرية والإصلاحية: دراسة تحليلية،** جامعة العلوم الإسلامية العالمية العام 2018

طاش، عبد القادر **أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي** (كتاب المختار)

العايب، ربيع، و زيغمي، أحمد. (2021) **العلاقات بين الغرب والشرق: تعرف أم هيمنة؟**.مجلة الحوار الثقافي

عبدالحميد، صائب **فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي** (دار الهادي ط1 ،2007)

عبدالرحمن، طه **روح الحداثة** (المركز الثقافي العربي ط 1)

غنيمات، مصطفى عبدالقادر. (2008) **القيم الغربية المعاصرة من منظور فلسفي: دراسة تقويمية في ضوء الإسلام**.مجلة جامعة الملك سعود – العلوم التربوية والدراسات الإسلامية،

مج ,20 379 – .420 مسترجع من العدد 2

Record/com.mandumah.search://http27875/

غينيون، رينيه **أزمة العالم الحديث** (المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ،ترجمة عدنان نجيب الدين ط1، 2016)

فرغسون، نيال **الحضارة كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب** (شركة المطبوعات ط3)

القرضاوي يوسف (ت 1443هـ،2022م) **السنة مصدرا للمعرفة والحضارة**، (دار الشروق ط 4)

لاتوش، سيرج **تغريب العالم** (دار العالم الثالث ط 1، 1992)

لالاند، أندري (ت 1383هـ،1963م) **الموسوعة الفلسفية** (منشورات عويدات ترجمة خليل أحمد خليل، ط2 ، بيروت)

مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط** (مكتبة الشروق الدولية ط4)

المجلة النفسية Psychological Review no. 20 (1913) p158

محمود، زكي نجيب (ت 1413 هـ ، 1993 م) **الشرق الفنان** (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985)

المسيري، عبد الوهاب(توفي 2008م/1429هـ) **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**، دار الشوروق، 2006م

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ ،1311م) **لسان العرب** (دار صادر بيروت الطبعة: الثالثة 1414هـ)

الميالي، يعقوب حسن بريد. 2020. **آفاق النقد الإسلامي للحضارة الغربية** : علي عزت بيجوفيتش مثالا. الاستغراب،مج. 5، ع. 21، ص ص. 204-226 العدد 21 https://search.emarefa.net/detail/BIM-1408401

نبي،مالك **شروط النهضة** (دار الفكر 1986 ترجمة عمر كامل، عبدالصبور شاهين)

نبي،مالك(ت 1393هـ،1973م) **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** (دار الفكر دمشق ط1 1988)

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) **صحيح مسلم** المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة

النيسابوري،ابي الحافظ ابي الحسن مسلم(ت261هـ،874م) **صحيح مسلم** (بيت الافكار الدولية)

هنتش، تييري(ت2005م) **الشرق المتخيل** (دار الفارابي بيروت ترجمة غازي بارو وخليل أحمد خليل،2004)

هنتنغتون، صموئيل(ت 1419هـ، 1998 م) **صدام الحضارات** (ترجمة طلعت الشايب ط2، 1999)

المراجع باللغات الأجنبية:

George W.F. Hegel: Early Theological Writings, trans. (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1971)

Mercea Eliade: Patterns in Comparative Religion, trans. (New York: Sheed & Ward, 1958